الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف– المسيلة–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل ط1:

رقم التسجيل ط2:

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: لسانيات عامة

بعنوان:

الدلالة السياقية للأفعال في النص القرآني الربع الأول " أنموذجًا"

إعداد الطالبتين:

. مليكة شادي

. فاطمة نسومر قاسي

إشراف الأستاذ الدكتور:

* سليمان بوراس

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	المؤسسة	الصفة
ربيعة حمادي	أستاذ محاضر أ	جامعة محمد بوضياف– المسيلة–	رئيسا
سليمان بوراس	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف– المسيلة–	مشرفا ومقررا
مسعود ساكر	أستاذ محاضر ب	جامعة محمد بوضياف– المسيلة–	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445هـ–1446هـ/2024م–2025م

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا

﴿الآية ١﴾ سورة الكهف

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): مليكة بشاي الصفة: طالب

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 210675972 والصادرة بتاريخ: 2021/07/01 بدائرة تارمونت

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي تخصص: لسانيات عامة

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، بعنوان: الدلالة السياقية للأفعال في النص القرآني "الربع الأول 3 نموذجا"

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 12 جوان 2025

إمضاء المعني

نوفمبر 1954 الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ولاية المسيلة - دائرة حمام الضلعة بلدية تارمونت

نوفمبر 1954 الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية بلدية تارمونت توقيع وبصمة العميد تارمونت في 12 جوان 2025

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي والمتوفين عنه الموظفة: جميعة حنان

ملاحظة: أنعتت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم 933 المؤرخ في: 28-07-2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه

السيد(ة): قاسي فاطمة نسومر ..... **الصفة: طالب**

الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 208977353 .....

الصادرة بتاريخ: 2023/03/08 ..... **عن بلدية:** سيدي عامر ..... **ولاية** المسيلة .....

المسجل(ة) بكلية: الآداب واللغات **قسم:** اللغة والأدب العربي .....

والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:

الدلالة السببية للأفعال في النص القرآني
« الربع الأول أنموذجا »
.....
.....
.....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

سيدي عامر في : 12 جوان 2025

إمضاء المعني

إطلع عليه للتصديق
إمضاء السيد:
التاريخ: 12 جوان 2025
عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه
عون الإدارة الإقليمية
فرحات مرزوق

أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

شكـر و عـرفـــا ن

قال تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ"

نشكر الله على منه وإحسانه، اللهم لك الحمد حتى ترضى، على أن وفقتنا لإتمام هذا العمل، كما نتقدم بجزيل الشكر لجميع أساتذة قسم اللغة العربية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف **سليمان بوراس**، كما نشكر كل طلبة وطالبات اللغة العربية سدد الله خطاهم ووفقهم إلى كل خير، وإلى كل من كانت لهم يد في إثراء هذا البحث من قريب أو بعيد.

مقدمـــة

مقدمة:

إنّ تدبر كتاب الله وبيانه الخالد والسعي في سبر أغواره وتتبع دروسه وعبره هو خير ما يبذل فيه المسلم وقته، إذ التخصص في التفسير هبة من الله وحجة على من منّ الله عليه بذلك، فإنّ كتاب ربنا لا تنتهي عجائبه وفوائده ولا تنقضي فرائده، إنّه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور .

وكانت اللغة العربية هي اللغة المصطفاة لحمل هذه الرسالة الكونية الخالدة التي لا نهاية لها تخاطبا وتداولا، والحديث عن الإعجاز القرآني هو الحديث عن البيان الرباني لأنّ القرآن الكريم وجود لغوي رُكِّب كل ما فيه أحسن تركيب ليبقى خالدا مع الإنسانية –عربا وعجما– مقبلين على دراسته آناء الليل وأطراف النهار، فهو بحر من المعاني لا ساحل له، جاء بلسان عربي مبين ليس بخلق ينتهي أو يعتريه النقص، ولا ريب في عالميته التي خاطبت الإنس والجن بهذه التراكيب والأنسجة اللغوية السيميائية التي اتسمت بأعلى مراتب الفصاحة والبلاغة إعجازا وتأثيرا في النفوس وعليها، بحروف معلومة لديهم وألفاظ فتقوا معجمها وغريبها.

ومن بين القضايا التي تستوقف دارسي اللغة والبلاغة في النص القرآني مسألة " الدلالة السياقية للأفعال" إذ لا تفهم الأفعال بمجرد صيغها الصرفية، بل تتعدد دلالاتها وتتنوع معانيها بتأثير السياق، فالفعل بوصفه مكونا أساسيا في الجملة، لا يفهم فهما سليما إلا ضمن بيئته النصية والسياقية، التي تشمل المقام والسباق واللحاق وقد تتجاوز دلالة الفعل في النص القرآني معناه المعجمي الأول لتؤدي وظائف متعددة يوجهها السياق.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة موسومة بـ: **الدلالة السياقية للأفعال في النص القرآني " الربع الأول أنموذجا"**

ليسبر من خلاله أغوار الدلالة السياقية للأفعال، والوقوف على كيفية توظيف الأفعال(ماضيا، وأمرا وحاضرا) ضمن السياقات القرآنية المختلفة.

- **إشكالية البحث:**

وذلك للإجابة على إشكال أساس فحواه: كيف توجه دلالات الأفعال في النص القرآني سياقيا؟ وبعبارة أخرى ما مدى فاعلية السياق في توجيه دلالات الفعل في القرآن الكريم؟

وتفرع عن هذا الإشكال الأساس كثير من الأسئلة الفرعية منها:

- ما المقصد من السياق عموما؟ وما أنواعه؟
- ما السياق القرآني؟ وكيف يساعد في توجيه الدلالة؟
- ما مدى أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية والزمنية للأفعال؟

➢ **أهداف الدراسة:**

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان مرونة الفعل في الخطاب القرآني، وإبراز دور السياق في توجيه دلالته، كما تسعى إلى التمييز بين الدلالة المعجمية للأفعال والدلالة التي تكتسب من خلال السياق، واخترنا نماذج محددة من القرآن الكريم رغبة في إبراز دور السياق فيها.

➢ **أسباب اختيار البحث:**

واختيارنا لهذا الموضوع لأسباب ذاتية تتمثل في:

حب القرآن الكريم والافتتان بجمال لغته و الرغبة الحقيقية في المعايشة مع كتاب الله في محاولة لكشف اللثام عن بعض أسراره التي لا تعد ولا تحصى، وكذلك من الأسباب الرد على المعاندين على النص القرآني ورميه بالتناقضات، وخير الأسباب أنّها كانت إرادة الله ومشيئته، حيث شُرِحت صدورنا لاختيار هذا الموضوع.

ومن الأسباب الموضوعية كونه من مواضيع العصر المطروحة التي أثارت ومازالت تثير جدلا على مستوى البحث اللغوي.

أما عن أهميته فما اخترنا هذا الموضوع إلا إيمانا بقدرته في الكشف عن مكنونات كثير من المعاني التي تختفي وراء اللفظ، الذي لا يمكن استنطاقه إلا بمعرفة دلالته في النص، ومن هنا كان للسياق أهمية في الوقوف عند كل فعل وموقعه من الكلام.

- **أهمية الموضوع:**

تنبع أهمية هذا الموضوع من طبيعة النص القرآني، الذي يُعدّ أبلغ نص لغوي في اللغة العربية، ويتميز بدقة اختيار الألفاظ وتناسقها مع السياق العام والخاص، وهو ما يجعل دراسة الأفعال فيه ذات قيمة كبيرة في فهم المعنى الكلي والجزئي للآيات.

- **الدراسات السابقة:**

ومن بين الدراسات السابقة المعتمدة في هذه الدراسة نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر:

– دايد عبد القادر، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري الكشاف أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في اللغة والأدب العربي، إشراف محمد ملياني، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران احمد بن بلة، الجزائر، 2017/ 2018م .

– ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه موصى بطبعها، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1424هـ.

– نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب دراسة من منظور لساني، إشراف عمار شلواي، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2010/2009 م.

كما اعتمدنا على بعض الكتب كـ:

– البيان في روائع القرآن، تمام حسان.

– الجملة العربية والمعنى، فاضل صالح السامرائي.

– بدائع الفوائد، ابن تيمية.

- **منهج البحث:**

المنهج المتبع في الدراسة لم يكن واحدا لاختلاف تشعبات الدراسة، فغلب **المنهج الوصفي مع آلية التحليل**، فالوصف في وصف ماهو كائن في الدلالة السياقية للأفعال، أما التحليل فهي تقصي هذه المواصفات في نصوص شواهد قرآنية ومعرفة مدلولاتها ظاهرا وباطنا سطحا وعمقا، أما السياقي فعند إرجاع الفعل إلى أصله وسبب خروج التركيب عن المألوف الوضعي قصد تجلّي المعاني وتعميق الدلالات .

➢ **منهجية كتابة البحث:**

سارت منهجية البحث على الخطة الآتية:

- **مدخل:** تناولنا فيه محددات ومفاهيم حول السياق، فذكرنا تعريفاته المختلفة وتطور مفهومه، ثم تطرقنا إلى أنواعه المعروفة، وخصصنا السياق القرآني بالذكر وعددنا أنواعه وتفريعاتها، ثم تناولنا علاقة السياق بالدلالة من خلال تعريف الدلالة وفاعلية السياق في توجيهها.

- **الفصل الأول:** خصصناه للفعل الماضي وأثر السياق في توجيه دلالاته ووسم بـ: الدلالة السياقية للفعل الماضي، وذلك من خلال تعريف الفعل الماضي لغة واصطلاحا ثم ذكرنا أثرالدلالة السياقية على الدلالة المعجمية للفعل الماضي ممثلين لها بنماذج من القرآن الكريم، وأخيرا أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية للفعل الماضي بالتطبيق على نماذج من القرآن الكريم.

- **الفصل الثاني:** خصصناه للفعل المضارع وأثر السياق في توجيه دلالاته ووسم بـ: الدلالة السياقية للفعل المضارع، فعرفنا فيه الفعل المضارع لغة واصطلاحا، ثم أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية للفعل المضارع ممثلين بنماذج من القرآن الكريم، وأخيرا أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية للفعل المضارع بالتطبيق على نماذج من القرآن الكريم.

- **الفصل الثالث:** خصصناه لفعل الأمر وأثر السياق في توجيه دلالاته ووسم بـ: الدلالة السياقية لفعل الأمر، فعرفنا فيه فعل الأمر لغة واصطلاحا، ثم أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية لفعل الأمر ممثلين بنماذج من القرآن الكريم، وأخيرا أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية لفعل الأمر بالتطبيق على نماذج من القرآن الكريم.

ثم جاءت **خاتمة** للبحث أجبنا فيها على الإشكاليات المطروحة وبيان أبرز النتائج التي توصلنا إليها، وأخيرا فهرس الموضوعات.

➢ **الصعوبات البحثية التي اعترضت مسار الدراسة:**

وخلال إنجازنا لهذا البحث كانت أبرز صعوبة واجهناها هي: صعوبة هذا الموضوع الذي يحتاج الوقت والجهد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سائلين المولى أن يكون هذا البحث ذا نفع للخلق أجمعين ولا يفوتنا أن نشكر أستاذنا الفاضل الدكتور سليمان بوراس قبوله الإشراف على هذه المذكرة وصبره على تباطئ أصحابها، كما نشكره على حسن توجيهه، كان لنا شرف التلقي على يديه فقد رعى بحثنا بمنتهى الأمانة والصدق والإخلاص وبالله التوفيق والسداد.

مدخـــل

يحدث أنْ يشيع المصطلح العلمي بين الدارسين إلى درجة الابتذال، فيتوهم بعض أن هذا المصطلح واضح مفهوم، فإذا ما حاولوا ضبط مصطلحه بدا لهم الأمر عسيرا غاية العسرة، وغامضا أشد الغموض ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال العصية على التحديد الدقيق بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح السياق خاصة في تعريفاته وتسمياته.

1- مفهوم السياق:

أ- لغة:

يعد السياق كيانا لغويا يتمظهر في جملة العلاقات المعجمية والصوتية والتركيبية ومن حيث بنيته والموقف الذي يقال فيه ومن ثم حظيت الدلالة السياقية باهتمام اللغوين قديما وحديثا، كما أنه تكاد تتفق المعاجم العربية حول مفهوم السياق في الوضع اللغوي:

يعرفه **ابن فارس (ت395هـ)** في مقاييس اللغة: " **السِّينُ وَالْوَاوُ والْقَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَدْوُ الشَّيْءِ. يُقَالُ سَاقَهُ يَسُوقُهُ سَوْقاً. وَالسَّيِّقَةُ: مَا اسْتِيقَ مِنَ الدَّوَابِّ. ويُقَالُ سُقْتُ إِلَى امْرَأَتِي صَدَاقَهَا، وَأَسَقْتُهُ. وَالسُّوقُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذَا، لِمَا يُسَاقُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْجَمْعُ أَسْوَاقٌ. وَالسَّاقُ لِلْإِنْسَانُ وَغَيْرُهُ، وَالْجَمْعُ سُوقٌ، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمَاشِيَ يَنْسَاقُ عَلَيْهَا**"[1].

ويعرفه **ابن منظور(ت711هـ)** في لسان العرب:" **السَّوق: مَعْرُوفٌ. ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقًا وسِياقًا، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدِّد لِلْمُبَالَغَةِ؛ وَقَدِ انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقاً إِذَا تتَابَعَت، وَكَذَلِكَ تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة. والسِّياق: الْمَهْرُ**"[2].

فحاصل المعاني اللغوية للسياق عموما تدور حول الصداق والتتابع وهذا الأخير هو ماله علاقة بسياق الكلمات أي تتابعها وانتظامها واتصالها في الجملة.

ب- اصطلاحا:

---

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ، 1979م، ج3، ص117.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج10، ص166.

عرف بعض اللغويين السياق انطلاقا من حصره في الجانب اللغوي المقالي فقط، وذلك باعتباره:" **بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزاءه، أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط، بحيث يلقي ضوءً لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكمل**"[1]، والبعض الآخر ربطه بالغرض؛ أي الحال الذي قيلت فيه باعتبار أن لكل مقام مقال ليصبح بذلك " **السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق عليها التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة، وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما**"[2].

أما الدكتور **تمام حسان** في تعريفه زاوج بين الرأيين، فقد ذكر كل من القرائن المقالية والحالية، فعرّف السياق على أنه:" **ما انتظم القرائن الدالة على المقصود من الخطاب سواء كانت القرائن مقالية أو حالية**"[3]، وإذا دققنا في تعريف السياق في الوضع اللغوي والاصطلاحي نجد تشابها بينهما، فكلاهما ينص على التتابع وفق مؤثرات خارجية وداخلية.

2- تعريف الدلالة:

في اللغة: جاء في المعجم الوسيط أن "الدَّلَالَة: **الإرْشَاد، وما يقتضيه اللّفظ عند إطلاقه، تُجمع على دَلَائِل ودَلَالَات**"[4]، **أما في اللسان:"ودَلَّه على الشيء يَدُلُّه دَلاًّ ودَلالةً فانْدَلَّ: سدَّده**

---

[1]– إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية، تونس، سفاقص، 1989م، ص201.

[2]– دايد عبد القادر، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري الكشاف أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في اللغة والأدب العربي، إشراف محمد ملياني، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران احمد بن بلة، الجزائر، 2017/ 2018م، ص35.

[3]– تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1413ه/1993م، ج1، ص221.

[4]– مجمع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط، ص294.

إليه،... والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة والفتح أَعلى، والدَّلِيل والدِّلِّيلي: الذي يَدُلُّك"...[1] أي تحمل معاني الإرشاد أو التسديد أو الإبانة.

3- السياق عند العرب

وفي الاصطلاح قال **الزركشي(794هـ)** " **كون اللفظ بحيث إذا أطلق فَهِم منه المعنى مَنْ كان عالما بوضعه له**".[2] **وقال ابن النجار: "كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر فالشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول[3]**".

لقد كان لعلمائنا العرب فضل السبق بتنوع مشاربهم في دراسة السياق، وبيان أهميته ودوره في إيضاح الدلالة ولنبين ذلك لابد لنا من عرض موقف كل فئة منهم على النحو الآتي:

أ- السياق عند البلاغيين

من المعلوم أنهم يكشفون أن الألفاظ متناهية بينما المعاني غير متناهية، وهذا ما جعل أن يكون هناك دال للعديد من المدلولات بالرجوع للمقام الذي ترد فيه، فهو من يحدد المعنى المراد، فالاستعمال هو من يحدد دلالة اللفظ، حيث ذكر **الجاحظ(ت255هـ)**:" **أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غاية، وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة**"[4]، ومن خلال قوله يتبين لنا أنّ الدوال اللفظية وغير اللفظية محصورة في المعاني الغير منتهية.

ويظهر إدراك البلاغين والأدباء والنقاد العرب القدامى أمثال **بشر بن المعتمر(ت210هـ)، الجاحظ(ت255هـ)، وابن رشيق(ت458هـ)، وابن المقفع(142هـ)،**

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة د ل ل، ص 1414.

[2]- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ط2، 1992، ج2، ص36.

[3]- ابن نجار، شرح الكوكب المنير مختصر التحرير، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1993م، ج1، ص125.

[4]- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1، ص76.

للسياق من خلال حمل أغلب كتبهم البلاغية مبدأ مقولتين أساسيتين هما: **(لكل مقام مقال)** و**(وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال)** وسنطرح شرحا موجزا للمبدأ الأساسي الذي ينبري عليه مبدأ المقولتين "**والمقصود بالمقام في العبارة الأولى هو جملة الظروف الخارجية المحيطة بالنص، بما في ذلك السامع والمتكلم نفسه والكلام المرتبط بهما، الصادر عنهما، مرهون الدواعي بزمانه، موصول الأسباب بمكانه، أما المقال فيقصد به النص اللغوي، أو الحدث الكلامي،**"[1]، أما العبارة الثانية فتحيل إلى "**ضرورة مطابقة الكلام لما يقتضيه الموضوع، أو الموقف الذي يقال فيه وفيما ينبغي للخطيب أن يراعي أحوال السامعين فيه**"[2].

ومن خلال العبارتين، نصل لفكرة مفادها أن العرب تناولوا السياق في أبحاثهم وأوجبوا مراعاته وأكدوا على أهميته، ونستشهد على ذلك بقول **الجاحظ:** "**ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات**"[3].

---

[1]– نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب دراسة من منظور لساني، إشراف عمار شلواي، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2010/2009 م، ص21.

[2]– نفس المرجع، ص 22.

[3]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص131.

ب- السياق عند الأصوليين

فأهل الأصول اهتموا بالسياق اهتماما بالغا، كونه وسيلة للكشف عن المعنى المراد، وقد كان أول من أشار إلى السياق من الأصوليين الشافعي"[1] بحيث تفطن أكثرهم إلى أن:" **اللغة ظاهرة اجتماعية، لابد فيها من ملاحظة السياقين اللفظي و الحالي(المقامي) للوقوف على طبيعة النص دلاليا، كما اهتموا بدراسة القرائن الحالية المتمثلة بأسباب النزول، والمواقف، والملابسات لنصوص الحديث الشريف، وقد استعمل بعضهم مصطلح السياق في وقت مبكر**"[2].

فالإمام الشافعي(**ت204هـ**) يشير إلى قضية مهمة من قضايا السياق هي (سياق النص) بحيث يكشف عن مفهومه وإن لم يصرح به في قوله:" **وتبتدئ (أي العرب) الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله**"[3] ويضاف إلى قول الشافعي ما يتعلق بالسياق صراحة قول الإمام **فخر الدين الرازي**(ت604هـ):" **الشرط في رواية المعاني أنْ يكون الراوي عالما بما قبل الكلام وبما بعده، وبالقرائن الحالية والمقالية الصادرة عن رسول الله صل الله عليه وسلم، فإن من المحتمل أن الراوي لما دخل عليه كان قد ذكر كلاما قبل ذلك تغير حال هذا الكلام بسبب تلك المقدمة**"[4].

و هناك الكثيرون غيرهم من العلماء الفقهاء الذين تحدثوا حول السياق أمثال ابن تيمية، وابن القيم رحمهم الله، مما يؤكد أن علم الأصول كان على دراية تامة بقيمة السياق المرجعية لفهم النص.

---

[1]- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه موصى بطبعها، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1424 هـ، ص130.

[2]- ينظر: هادي نهر، تقديم علي الحمد علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل، الأردن، 2008 م، ص275.

[3]- البيهقي، مناقب الشافعي للبيهقي، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1390هـ، 1970م، ج1، ص376.

[4]- فخر الدين الرازي، المعالم في أصول الفقه، مؤسسة مختار، دار عالم المعرفة، القاهرة، مصر، 1994 م، ص147.

ت- السياق عند المفسرين

لقد تنبه علماء التفسير لأهمية السياق البالغة في فهم المعنى، وخاصة فهم القرآن وتفسيره منذ بداية التأليف في علوم القرآن، حتى أنهم كانوا من السباقين في ذلك وقدموا العديد من الإسهامات في قضية السياق تكاد تكون بداية لبلورة مفهوم السياق مما يدل على وعيهم الكامل به.

فنجد **الإمام الزركشي (794 هـ)** يقول:" **الرابع من الأمور التي تعين على المعنى عند الإشكال دلالة السياق، فإنّها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته**"[1]، **وفي موضع أخر يقول: "ليكن محط نظر المفسرين مراعاة نظم الكلام الذي سيق له**"[2].

والملاحظ من تعريف **الإمام الزركشي(ت794هـ)** أن للسياق دور ووظيفة مهمة في تحديد الدلالة لا يمكن الاستغناء عنه خاصة في فهم وتفسير القرآن، حتى أنهم قد جعلوا للسياق القرآني أقسام ومستويات سنتطرق لهم و نفصل فيهم.

1- أنواع السياق:

انطلاقا من تعريفات العلماء للسياق، يتضح لنا أنه لفهم المعنى قرائن " **والمقصود بالقرينة الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه، ... وهي عنصر مهم لفهم الجملة فيها نعرف الحقيقة من المجاز ونعرف المقصود للألفاظ المشتركة، ونعرف الذكر والحذف وخروج الكلام عن ظاهره، وما إلى ذلك مما يحتمل أكثر من دلالة في التعبير، وقد قسمها علماؤنا**

---

[1]- دايد عبد القادر، اثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري الكشاف أنموذجا، ص59.

[2]- نفس المرجع، ص56.

إلى حالية ومقالية، أولفظية ومعنوية"[1]، ومنه فإنّ السياق يتنوع إلى قسمين رئيسين، لغوي مقالي وحالي مقامي:

أ- السياق المقامي:

وهو السياق الذي يهتم بمراقبة العلاقات الحالية المقامية التي يحدث فيها الكلام وهو فكرة قديمة حديثة " **والسياق الحالي أو المقامي، هو المتمثل في الظروف الملابسة لإنتاج النص، ويشمل الموقف الذي وقع فيه الحدث الكلامي، فمن خلال الموقف يمكن لنا أن نتبيّن المحذوف ونقدّره، وعادة ما يكون الكلام دالا على هذا النوع من الحذف...**"[2]، والمقام "من القرائن المهمة في فهم الكلام والدلالة على معناه، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**﴾ [سورة الدخان: الآية49] فهذا لا يتضح معناه إلا من السياق الذي ورد فيه، فإن ظاهر العبارة التكريم وحقيقتها التحقير، والاستهزاء"[3]، ونحوه أيضا "**قولك للرجل تستجهله ياعاقل، وقولك للمرأة تستقبحها يا قمر، فالمقام يوضح أن هذا من باب الذم لا من باب المدح**"[4].

ب- السياق المقالي:

يعْرَفُ السياق المقالي على أنه:" **كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة، أو بنية النص وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، ونذكر من العناصر المساعدة في ذلك:**

- الوحدات الصوتية، الصرفية، الكلمات التي يتحقق بها التركيب، والسبك.

---

(1)- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،2000 م، ص59.

(2) - مهديد خليف، القرائن اللفظية وأثرها في التراكيب اللغوية ديوان موسى الأحمدي نويوات أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف صفية مطهري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة احمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2015 م، ص21.

(3)- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، ص23.

(4)- نفس المصدر، ص25.

طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب"[1].

ولأنّ فهم النص ودراسته لا تتأتى إلاّ من خلال " **استعمال المفردة في داخل نظام الجملة، وعلاقتها بما قبلها أو بعدها، فالرجوع إلى المعجم في فهم اللفظ قد لا يسعف في الجملة؛ لأن اللفظ في الجملة له استعمالات كثيرة.**"[2]، وعليه فالسياق هو "ما يفهم من الجملة، ولا يمكن تأويله، أو الاختلاف فيه نحو قوله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِين**﴾ [النحل:30].

فالتقدير: أنزل ربنا خيرا... فالقرينة اللفظية أو المقالية تتمثل في أنْ يكون في سياق الكلام سابق أو لاحق يدل على العناصر المحذوفة، أو أنْ تقتضيَ القوانين التركيبية التي وضعها النحاة من قبل تقدير ذلك المحذوف، وهو ما يعرف عندهم بالدليل الصناعي"[3]، ويمكن التمثيل لذلك بـ" **كلمة (يد) إذ نلاحظ اختلاف معناها باختلاف السياق اللغوي الذي وردت فيه كما يلي:**

- **قال الله تعالى: (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ) [سورة الفتح: الآية 10] وتعني القوة، والقدرة.**
- **قال الله تعالى: (حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ)**
  [سورة التوبة: الآية29] وتعني بدون واسطة.
- **وفي قولنا: له علينا يد وتعني الفضل، والتكرم.**
- **وقولنا: هذا رجل قصير اليد، وطويل اليد، تعني البخل والكرم**"[4].

---

[1]– نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب دراسة من منظور لساني، إشراف عمار شلواي، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2010/2009 م، ص9.

[2]– علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، مذكرة ماجستير، إشراف عبد الإله الصائغ، قسم اللغة العربية، في كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية في الدانيمارك، 2014 م، ص41.

[3]– مهديد خليف، القرائن اللفظية وأثرها في التراكيب اللغوية ديوان موسى الأحمدي نويوات أنموذجا، ص22.

[4]– نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب، ص9.

فاستعمال المفردة في السياق أعطى دلالة محددة في كل جملة من الجمل المتقدمة، "**فالسياق اللغوي ينظم العلاقات الدلالية بين اللفظ مع غيره، وهذا لا يقتصر على اللفظ المشترك بل على كل لفظ من الألفاظ**"[1] كنحو قولك (محمد) جوابا لمن قال: من دخل؟ والتقدير دخل محمد، فيتعين المحذوف بالقرينة التي تسبقه.

ت- السياق القرآني:

لدلالة السياق القرآني أهمية بالغة في تفسير كلام الله سبحانه وتعالى، فهي أصلٌ أصيل من أصول هذا العلم، وعدم الاستعانة بها –لاريب– هو قصور في المنهج يعقبه قصور في الآيات، ومن ثم العلة في التفسير، وهذا من كمال القرآن الكريم، ويشمل سياق القرآن حسب رأي بعض الباحثين ما يلي[2]:

أ- **السياق الداخلي أو سياق المقال (اللغوي):** وهو السباق واللحاق في القرآن الكريم أي الرجوع في فهم دلالات القرآن إلى القرآن نفسه.

ب- **السياق الخارجي أو سياق المقام (الحالي):** هو ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية، كحال المتكلم والمخاطب وأسباب النزول وغيرها...

ث- سياق المقال:

قال فيه **شيخ الإسلام ابن تيمية(ت728هـ)**- رحمه الله-: " **فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إنّ اصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان،**

---

[1]- علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، ص41.

[2]- ينظر: عبد الرحمان عبد الله سرور جرمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2008م، ص65.

فإنه قد فسر في موضع آخر وما أختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر"[1]، **وهو أنواع ذكرها صاحب كتاب (دلالة السياق منهج مأمونا لتفسير القرآن الكريم)**"[2]، وهي كالآتي:

1. **سياق الآية:** في هذا النوع من السياق ينظر إلى الآية في سباقها ولحاقها دون تجاوز ذلك إلى ما سبقها أو لحقها من آيات.

قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحمَة مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُم وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلقَلبِ لَٱنفَضُّواْ مِن حَولِكَ فَٱعفُ عَنهُم وَٱستَغفِر لَهُم وَشَاوِرهُم فِي ٱلأَمرِ فَإِذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُتَوَكِّلِينَ**﴾ آل عمران 159.

فإن "**الفظ هو الغليظ**"[3]، وتشمل "**غليظ اللسان والقلب والمراد منها هاهنا غليظ الكلام والدليل قوله بعد ذلك غليظ القلب، لتجنب التكرار الذي يتنافى وفصاحة القرآن، والمقصود لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب لانفضوا عنك وتركوك**"[4].

2- **سياق المقطع:** أو سياق النص، فالسورة القرآنية تتضمن مقاطع ونصوص من الآيات المتناسبة والمتناسقة متحدة المعاني ومترابطة المباني لها موضوع أساسي وغرض معين ومثال هذا النوع من السياق قوله تعالى: ﴿**فَنَادَىٰهَا مِن تَحتِهَا أَلَّا تَحزَنِي قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيّا**﴾ مريم 24

فتباينت وجهات نظر المفسرين في تعيين المنادي لمريم فمنهم من يقول بأنه جبريل عليه السلام ومنهم من يقول بأنه عيسى عليه السلام[5]، واستدلوا بسياق الضمائر في المقطع من

---

[1]- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زوزور، ط2، 1972م، ص93.

[2]- عبد الوهاب الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، دائرة المكتبات والوثائق المدنية، عمان، ط1، 1989م، ص88.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (غ ل ظ)، ص3437.

[4]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2000 م، ج2، ص148.

[5]- ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح محمود شاكر، دار المكتبة ابن تيمية للنشر، ط2، 2008م، ج 18، ص175.

خلال الآية التي قبلها بقليل، قال تعالى: ﴿فَحَمَلَتهُ فَٱنتَبَذَت بِهِۦ مَكَانا قَصِيّا﴾ مريم 22، تعود كلها على عيسى عليه السلام.

3- **سياق السورة:** فلِكُل سورة من القرآن محور عام أو غرض يستخرج من سياقها العام " **وإنك لتقرأ السورة الطويلة المنجملة يحسبها الجاهل أضغاثا من المعاني حشيت حشوا وأوزارا من المعاني جمعت عفوا فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أساس وأصول ...**"[1].

ومثال ذلك ما قاله **ابن جرير الطبري(310هـ)** رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ بَينَهُۥ وَبَينَ ٱلجِنَّةِ نَسَبا وَلَقَد عَلِمَتِ ٱلجِنَّةُ إِنَّهُم لَمُحضَرُونَ**﴾ الصافات 158. في الخلاف في معنى (الإحضار) هل المراد به الإحضار للعذاب أو الإحضار لمشاهدة الحساب وذُكر أنّ الصواب في المعنى الأول[2]، واستدل على ذلك من سياق السورة فقد ذكر الإحضار في موضعين بذاك المعنى في نفس السورة؛ الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ**﴾ **الصافات 158**، والثاني في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ**﴾ **الصافات 15.**

4- السياق العام للقرآن الكريم: فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي أحكمت آياته وتعاظمت معانيه، وأُنزل لأغراض ومقاصد مبنية على مصالح العباد في دنياهم وأخراهم ومعاني كلية في ألفاظ يغلب استعمالها على نحو واحد.

فيقول الإمام ابن القيم**(ت728هـ)** -رحمه الله-:" **للقرآن عرف خاص ومعان مقصودة لا يناسبه تفسيره بغيرها**"[3]، **ومن بين تلك المعاني، قول ابن عباس رضي الله عنهما: "كل**

---

[1]- عبد الرحمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، ص113.

[2]- ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، جزء19، ص646.

[3]- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج3، ص 27.

شيء في القرآن زجر فهو عذاب"[1]، وقول مجاهد رضي الله عنه: "كل ظن في القرآن فهو علم"[2].

ومثال هذا النوع من السياق قوله تعالى: **﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الفاتحة 7.**

والدليل قوله تعالى في اليهود في سورة البقرة: قوله تعالى: **﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾** البقرة 90.

وقوله في النصارى في سورة المائدة: قوله تعالى: **﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المائدة 77.**

2- سياق المقام:

يقول **الشيخ عبد الرحمن السعدي(ت1376هـ)** -رحمه الله- في بيان الأمور المعينة على فهم المراد من القرآن:" **فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت النزول-أي القرآن- من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه**"[3].

وسياق المقام هو سياق الموقف الذي يراعى فيه ما يلي:

- **أسباب النزول:** إنّ سبب النزول سواء أكان متعلق بشخص أو حادث أو موقف يشكل فهما سياقيا يدل على الحال أو الموقف، فلابد من الرجوع إلى أسباب النزول لنعرف المقام الذي قيلت فيه الآية والموقف الذي حدثت فيه والزمان والمكان الذي نزلت فيه،

---

[1]- ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج 1، ص730.

[2]- نفس المصدر،ج1، ص625.

[3]- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، تح سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ، ج1، ص4.

والتفريق بين المكي والمدني من الآيات، ومن هنا يمكن الوصول إلى الفهم الدلالي المتعلق بالأحداث والأحكام، يقول **الواحدي(ت468هـ)**: " **لا يمكن معرفة تفسير الآية وسببها دون الوقوف على قضيتها وبيان نزولها**"[1].

- **أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم:** يقول السعدي –رحمه الله–:" **النظر إلى سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته مع أصحابه وأعدائه من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه**"[2].
- **الأعراف الاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد:** في المحيط الاجتماعي الذي نزلت فيه الآية[3].
- **الوقائع والشخصيات والأقوام التاريخية:** فكثير ما نجد القرآن الكريم يتناول وقائع تاريخية وأشخاص وأقوام لابد من الرجوع إلى سياقها التاريخي لكي يفهم المقصد من الآيات مثل: أصحاب السبت.

قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا**﴾ «**النساء 47**.

6- فاعلية السياق في تحديد الدلالة

تنقسم الدلالة إلى دلالة أساسية ودلالة سياقية؛ فالكلمات عندما وضعت إنما وضعت للدلالة على المعنى الأصلي أي المعنى المعجمي، وإذا ما دلت على معنى آخر فهذا راجع إلى السياق الذي وضعت فيه، بما يسمى بالدلالة السياقية أو الثانوية أو المجازية، وهنا نجد أنفسنا

---

(1)– الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ص196.

(2)– السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار مؤسسة النشر، ج1، ص20.

(3)– ينظر: تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006م،ج2، ص 77.

أمام جدلية بين السياق والدلالة وطبيعة العلاقة القائمة بينهما، فهل السياق هو الذي يتحكم في الدلالة ويوجهها؟ أم أن الدلالة مستغنية عن السياق؟

في الحقيقة إن الجواب هو جوهر هذا البحث، فالسياق هو الحل الأمثل للكثير من الإشكالات المتعلقة بالدلالة، فالمعنى المعجمي للمفردة إنما هو متعدد ويحتمل أكثر من معنى، في حين أن المعنى السياقي أحادي الدلالة وهذه الدلالة يحددها السياق.

يبين **ابن تيمية(ت728هـ)** – رحمه الله– أن السياق هو الذي ينشأ الدلالة فيقول:" **فإن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه وما يحف به من القرائن اللفظية والحالية**"[1].

ويؤكد **الإمام ابن القيم(751هـ)**– رحمه الله– ما قرره الإمام الغر في بيان فوائد دلالة السياق: " **السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته** "[2]، وعليه فالدلالة هي:

- دلالة معجمية حقيقية تفهم دون الحاجة إلى قرينة خارجية وهي الأصل الذي وضعت له.
- دلالة سياقية وهي التي لا يمكن إدراكها من الكلام إلا إذا وجدت في سياق معين وتحتاج إلى قرينة ما للوصول إلى دلالاتها المبتغاة وضوحا وكشفا، وتكون هذه القرينة إما لفظية أو حالية.

وقد أودنا هذا العنصر كخلاصة لما مضى من العناصر في فاعلية السياق في تحديد دلالات النصوص بما فيها القرآن الكريم.

---

[1]– ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمان بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، 2004م، ج6، ص14.

[2]– ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج4، ص 314.

الفصل الأول

الدلالة السياقية للفعل الماضي

1- الفعل الماضي:

جعل النحاة صيغة " فعَلَ" للدلالة على الزمن الماضي دون تحديده، قال **سيبويه:" أما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد"**[1].

وقال **الزمخشري(ت538هـ):**" الفعل الماضي هو الدال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك"[2].

والمتفق عليه من تعريفات النحاة هو أن الماضي زمن واحد لا تفريق فيه بين ماض بعيد أو قريب، فهو حدث حدث في زمن غير زمانك وهو مادل على حدوث فعل قبل زمن التكلم.

2- الدلالة السياقية للفعل الماضي:

الدلالة السياقة للفعل الماضي تشير إلى المعنى الذي يفهم من استخدام الفعل الماضي في سياق معين، وليس فقط إلى زمن حدوث الفعل، أي أن دلالة الفعل الماضي لا تقتصر على وقوع الحدث في الزمن الماضي فقط، بل قد تتنوع حسب السياق الذي ورد فيه،وينبغي أن يكون تعريف الفعل الماضي هو أن يُعرف داخل السياق، فيقال:" **إن الفعل الماضي صيغة تفيد في سياق ما الزمان الماضي وفي سياق آخر الحال وفي سياق ثالث الاستقبال، وقد تفيد في سياقات غير ما ذكر الماضي المتصل بالحال والاستقبال التجددي أو قد يتجرد كلية عن الحدث والزمان إلى غير ذلك**"[3]، فيتبين لنا أن السياق هو النقطة الفارقة في تحديد الدلالة الأصلية للفعل والدلالة الفرعية يعني أن للفعل دلالتين، دلالة ثابتة وهي الدلالة المركزية(المعجمية)، ودلالة مؤقتة وهي دلالة يحملها السياق(السياقية).

- أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية:

---

[1]- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمحد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م، ج1، ص12.

[2]- صلاح الدين الزعبلاوي، دراسات في لنحو، ص231.

[3]- علاء بد الدائم، الدلالات الزمنية لصيغة الفعل الماضي، ص4.

سنعرض نماذج من القرآن لتوضيح ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [1].

الفعل " **اشتروا**" يحمل دلالتين: دلالة مركزية(معجمية) وهي كالآتي:

الِاشْتِراءُ افْتِعالٌ مِنَ الشَّرْيِ وفِعْلُهُ شَرى الَّذِي هو بِمَعْنى باعَ كَما أنَّ اشْتَرى بِمَعْنى ابْتاعَ، فَفِعْلُ باعَ مَنظُورٌ فِيهِ ابْتِداءً إلى مَعْنى البَذْلِ، والفِعْلُ ابْتاعَ مَنظُورٌ فِيهِ ابْتِداءً إلى مَعْنى الأخْذِ فَإنِ اعْتَبَرَهُ المُتَكَلِّمُ آخِذًا لِما صارَ بِيَدِهِ عَبَّرَ عَنْهُ بِمُبْتاعٍ ومُشْتَرٍ"[2].

يعني أن الفعل اشترى يحمل معنين إما باع إذا كان بمعنى البذل أو ابتاع إذا كان بمعنى الأخذ.

ودلالة فرعية تفهم من خلال السياق الذي وردت فيه وهي كالآتي:

فإطْلاقُ الِاشْتِراءِ في الآية الكريمة: "مَجازٌ مُرْسَلٌ بِعَلاقَةِ اللُّزُومِ، أطْلَقَ الِاشْتِراءَ عَلى لازِمِهِ الثّانِي وهو الحِرْصُ عَلى شَيْءٍ والزُّهْدُ في ضِدِّهِ أيْ حَرَصُوا عَلى الضَّلالَةِ، وزَهِدُوا في الهُدى إذْ لَيْسَ في ما وقَعَ مِنَ المُنافِقِينَ اسْتِبْدالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ إذْ لَمْ يَكُونُوا مِن قَبْلُ مُهْتَدِينَ".[3]

ومنه يتبين لنا أنّ السياق هو من يحدد المعنى، فالشراء يكون للماديات بينما في سياق الآية كان الشراء معنوي، خرج معنى الفعل" اشترى" ونزح عن معناه المألوف ودل على استبدال الضلالة بالهدى، بمعنى أنهم إذا خالطوا أهل البر والإحسان أظهروا الإيمان، فإذا خلوا إلى شياطينهم استبدلوها بحالة الضّلال.

---

[1]- البقرة، الآية16.

[2]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، ج1، ص298.

[3]- المصدر نفسه، ج1، ص298.

2-قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[1].

كذّبوا فعل ماض تدل في الغالب على التكثير والمبالغة، لكن سياق الآية جعل هذه الصيغة تحتمل معنى آخر غير المبالغة في الكذب وذلك بعد تعديتها بحرف الجر الباء، فالمقصود بكذبوا هنا هو الشرك بآيات الله وهذا ما أشار إليه ابن عطية في قوله:" إن الكفر قد يعني كفر النعمة وكفر المعصية "[2].

3- في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ [3].

ضربت: له دلالة سياقية مفادها الإلزام والتعيين وليس المعنى الحرفي للضرب فهنا لاتعني ضربا جسديا، بل تعبر عن أمر معنوي، أي أن الذلة والمسكنة حكمت وفرضت وألزمت عليهم إلزاما وهذا ما أشار إليه ابن كثير في تفسيره بقوله:" **وُضِعَتْ عَلَيْهِمْ وَأُلْزِمُوا بِهَا شَرْعًا وَقَدَرًا، أَيْ: لَا يزَالُونَ مُسْتَذَلِّينَ، مَنْ وَجَدَهُمُ اسْتَذَلَّهُمْ وَأَهَانَهُمْ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الصَّغَارَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي أَنفُسِهِمْ أَذِلَّاءُ مُتَمَسْكِنُونَ**"[4].

وما نستنتجه أن الفعل" ضرب" تتعدد دلالاته بتعدد السياقات التي يرد فيها، فتارة يأتي بالمعنى الأصلي " المعجمي" وتارة يأتي بمعنى مغاير مؤقت يفرضه السياق.

---

[1]- البقرة، الآية 39.

[2]- ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص132.

[3]- البقرة، الآية 61.

[4]- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص180.

4- قوله تعالى:﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1].

للفعل **تولّى** دلالة معجمية تمثلت في الإعراض المحسوس وله دلالة سياقية تمثلت في الإعراض المعنوي ف:" **تَوَلّى تفَعَّلَ، وأصْلُهُ الإعْراضُ والإدْبارُ عَنِ الشَيْءِ بِالجِسْمِ، ثُمَّ اسْتعْمِلَ في الإعْراضِ عَنِ الأُمُورِ والأدْيانِ والمُعْتقَداتِ اتِّساعًا ومَجازًا**"[2]، فكان تولّيهم أي إعراضهم إما بالمعاصي أو الكفر، فقد امتثلوا لأمر الله ثم تركوه وخالفوا ما كانوا وعدوا الله ونبذوا ذلك وراء ظهورهم، فإن تولّى تعبر عن التحول عن ماهو خير والبعد عنه والإصرار على الخطأ وذلك بناء على السياق القرآني.

5- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۖ﴾ [3].

سعى: في الأصل تعني الإسراع في المشي بينما في سياق الآية وردت بمعنى بذل الجهد في إتلاف المساجد وإحداث الدمار فيها وذلك بتعطيلها عن ذكر الله، فكل من منع عبادة الله في مسجد فقد سعى في خرابه، وفي هذا السياق يقول الواحدي(**468هـ**):" **أنهم منعوا من العبادة في المساجد، وكلُّ من مَنعَ من عبادة الله في مسجد فقد سعى في خرابه؛ لأن عمارته بالعبادة فيه**"[4].

فالسعي هنا لم يكن في الخراب المادي بينما كان خرابا معنويا وذلك بتكدير المساجد بالتّعصّبات، وغلبة الهوى، ومنع أهلها من ذكر الله، أولئك ما كان أن يدخلوها إلا خائفين، لهم

---

[1]- البقرة، الآية 64.

[2]- أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج1، ص394.

[3]- البقرة، الآية114.

[4]- الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج16، ص9.

في الدنيا خزي وذلة، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، وهنا يبرز دور السياق في تحديد الدلالة الفرعية للفعل بالرجوع لسياق الآية.

6- قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [1].

عدل الفعل " **كُتِب**" عن معناه اللغوي فهنا لايقصد به الكتابة التي عهدناها إنما جاءت في سياق الآية بمعنى فُرِض عليكم الصيام، فدلالته السياقية تمثلت في الإلزام الشرعي والواجب التعبدي أي أنّ الصيام ليس مجرد اختيار بل هو عبادة وقد بين معنى الفعل "كتب" البقاعي**(885هـ)** في قوله: و" **كُتِبَ أي فُرِضَ بما استفاض في لسان الشرع**"[2].

وهنا يبرز دور السياق في تحديد الدلالة الفرعية للفعل كتب والتي هي الفرض والإلزام على الصيام.

7- قوله تعالى: ﴿ شهر رمضان ٱلذى أنزل فيه ٱلقرءان هدى للناس وبينٰت من ٱلهدىٰ وٱلفرقان فمن شهد منكم ٱلشهر فليصمه ومن كان مريضا أو علىٰ سفر فعدة من أيام أخر يريد ٱلله بكم ٱليسر ولا يريد بكم ٱلعسر ولتكملوا ٱلعدة ولتكبروا ٱلله علىٰ ما هدىٰكم ولعلكم تشكرون﴾[3].

يقال فلان **شَهِدَ** بدرا أي حضر، وهنا شهد الشهر ليس المقصود بها رأى الهلال لأنه لا يناسب السياق الذي وردت فيه إنما المعنى الذي أفاده هو حضر وعلم متجاوزا الدلالة المركزية لدلالة فرعية فرضها السياق، فالذي يفهم من الآية أنه من حضر الشهر فليصمه فلو فُهِم على أنه رأى لكان المعنى قاصرا ويصبح صوم كل فرد من الأمة معلقا بمشاهدته هلال رمضان فمن لم ير الهلال لا يجب عليه الصوم وهذا باطل قد وضح ذلك الشيخ ابن عاشور رحمه الله

---

[1]- البقرة، الآية 183.

[2]- البقاعي، نظم الدرر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1984م، ج3، ص42.

[3]- البقرة، الآية 185.

في قوله: شهد أيْ: **فَمَن حَضَرَ في الشَّهْرِ فَلْيَصُمْهُ ولَيْسَ شَهِدَ بِمَعْنى رَأى؛ لِأنَّهُ لا يُقالُ: شَهِدَ بِمَعْنى رَأى**"[1].

8- **قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾**[2].

الفعل "**بلغني**" هنا ليس بمعنى وصلني أو أحاط بي بل دلالته السياقية تمثلت في كبر وأصبح شيخا " وهذا ما أشار إليه الطبري**(ت310هـ)** في قوله:" **وإنما معناه: قد كبرت، وهو كقول القائل:" قد بلغني الجهد" بمعنى: أني في جهد.**[3]

يظهر جليا أن معنى الفعل يتحدد بناء على السياق الذي ورد فيه وذلك بالاعتماد على الكلمات و المواقف الأخرى التي يظهر فيها، فالفعل " بلغني " في سياق الآية جاء بمعنى كبر، فبلغني الكبر يفيد سياقها كراهية العبد للكبر فهو لا يريده ولكنه أتاه رغم أنفه.

9- قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[4].

خلت: (الخُلُوِّ) –في اللغة–: الانفراد[5]، فهذا المعنى المعجمي بينما المعنى المراد بالرجوع للسياق " خلت" تعني مضت وسلفت وتلت فهو يدل على التجاوز والانتهاء أي أنّ هذه الأمم السابقة قد انقرضت وانتهت حياتها ولم يعد لها وجود الآن وشرائع من كان قبلكم، من الأمم

---

[1]– ينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير، ج2، ص174.

[2]– آل عمران، الآية 40.

[3]– الطبري، تفسير الطبري، ج5، ص382.

[4]– آل عمران، الآية137.

[5]– الواحدي، التفسير البسيط، دار عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ، ج5، ص608.

الماضية المكذّبة الكافرة ونستدل بقول البغوي(ت516هـ):" **قَدْ مَضَتْ وَسَلَفَتْ مِنِّي سُنَنٌ فِيمَنْ كَانَ قَبلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ**"[1].

10- **قوله تعالى:** ﴿**و ۥكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْض□ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظ□ا**﴾[2].

أَفْضَى: الإفضاء في اللغة معناه الوصول، يقال:" **أفضى إليه، أي: وَصل إليه بالملابسة معه**[3]**، بمعنى البلوغ بينما وردت في سياق الآية " وقدْ أَفْضَى بعْضُكُمْ إِلَى بعْضٍ" بمعنى يريد الجماع، وهناك من قال من المفسرين أنّ الإفضاء أن يخلو بها وإن لم يجامعها**"[4].

فالدلالة الفرعية للفعل أفضى تحتمل معنين إما كناية عن الجماع أو أن يخلو بها دون جماع.

11- **قوله تعالى:** ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَار□ا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيم□ا**﴾[5].

نضجت: يقصد به بلغت نهاية الشيء، كقولنا نضج الطبيخ أي بلغ حد الطبخ لغة بينما في سياق الآية يقصد به احترقت والمعنى أنها كلما احترقت جلودهم بدّلهم الله جلودا غيرها، أي استبدل مكان الجلد المحروق جلد جديد، وهذا أبلغ في العذاب لأن إحساس الشخص لعمل النّار في الجلد الذي لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها في الجلد المحترق و يقول **الألوسي(ت1270هـ)** في معنى نضجت:" **أي احْتَرَقَتْ وتَهَرَّتْ وتَلاشَتْ**"[6].

---

(1)– البغوي، تفسير البغوي، تخ: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1320هـ، ج1، ص513.

(2)– سورة النساء، الآية 21.

(3)– الواحدي، التفسير البسيط، ج6، ص402.

(4)– ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص403.

(5)– النساء، الآية56.

(6)– الآلوسي، روح المعاني، تص: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، ج3، ص57.

ومنه للفعل " نضجت " دلالة مركزية تمثلت في بلوغ حد الشيء ودلالة فرعية مؤقتة تخدم سياق الآية وهي الاحتراق.

12- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

عزرتموهم: العَزْر في اللغة الردّ، وتأويل عزَّرت فلانًا أي أدَّبته"[2]بينما معناه في سياق الآية وقرتموهم، عظمتموهم ونصرتموهم وأعنتموهم وهذا ما أشار إليه الواحدي في تفسيره بقوله: "**عزِّرتموهم نصرتموهم بأن تردوا عنهم أعداءهم، و التعزيز بمعنى النصرة إذا وجدت فالتعظيم داخل فيها**"[3].

وكذلك للفعل " **أقرضتهم**" دلالة سياقية مفادها " أنفقتم" وأقرض في سياق الآية نزحت عن معناها المعجمي فهي ليست بمعنى دان و سلف إنما الإنفاق على الفقراء والمساكين وابن السبيل ابتغاء لوجه الله و قد ذكر ذلك ابن كثير **(774هـ)** في تفسيره بقوله:" **وهو الإنفاق في سبيل الله وابتغاء مرضاته** "[4].

من خلال ما سبق نصل إلى أنّ الدلالة السياقية لا تتم إلا بدخول الفعل في التركيب، فالسياق يدفع إلى المعنى ويسهل الوصول إليه.

---

[1]– سورة المائدة، الآية 12.

[2]– الواحدي، التفسير البسيط، ج7، ص298.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص59.

13- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [1].

للفعل **ذاقوا** دلالة سياقية مفادها نالوا ولا يقصد به الذوق الحسي بل عدل عن معناه الأصلي فلا يستطيع تذوق العذاب و ذاقوا بأس الله بمعنى هلكوا واضمحلوا، وليست الغاية هنا للتنهية والرجوع عن الفعل؛ لظهور أنه لا يتصور الرجوع بعد استئصالهم، فعذاب الله لما له من العظمة فإنّ من له الأمر كله لا يسأل عما يفعل، فلم ينفعهم عنادهم عند ذوق البأس، وقد قال **الألوسي(ت1270هـ)** في معنى **ذاقوا** في سياق الآية: " **أيْ نالُوا عَذابَنا الَّذِي أنْزَلْناهُ عَلَيْهِمْ بِتَكْذِيبِهِمْ وفِيهِ عَلى ما قِيلَ إيماءٌ إلى أنَّ لَهم عَذابًا مُدَّخَرًا عِنْدَ اللَّهِ تَعالى لِأنَّ الذَّوْقَ أوَّلُ إدْراكِ الشَّيْءِ**"[2].

فالفعل **ذاقوا** دل على أنّ المكذبين أدركوا عواقب فعلهم السيء ووجدوا حدة الألم و العذاب حيث أسخط الله فغضب عليهم، فأحلل بهم بأسه فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة وهذا المعنى فرضه سياق الآية.

أ- أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية

أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية للفعل الماضي يعد من المسائل المهمة في علم الدلالة، لأن الزمن في اللغة ليس مجرد قيمة ثابتة بل يمكن أن يتغير أو يتأثر بحسب السياق الذي يرد فيه الفعل، فقد اتفق نحاة العرب أنّ صيغة الماضي وضعت للدلالة على زمن الماضي مطلقا إذا جاءت مجردة من القرائن السياقية، غير أنّ هذه الصيغة قد تستعمل للدلالة على الحال والاستقبال، وقد قال **أبو حيان(ت754هـ)** في دلالة الفعل:" **إنه يدل على الحدث بلفظه وعلى الزمان بصيغته؛ أي كونه على شكل مخصوص، ولذلك تختلف الدلالة على**

---

[1]- الأنعام، الآية 148.

[2]- الآلوسي، روح المعاني، ج4، ص294.

الزمان باختلاف الصيغ ولا تختلف الدلالة على الحدث باختلافها"[1]، فالسياق قد يعيد تشكيل المعنى الزمني للفعل الماضي، فينقله من الزمن الماضي إلى دلالات الحاضر أو المستقبل أو الديمومة...

ومن أمثلة ذلك:

1- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَ ٰ□ش□ا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآء□ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء□ فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْق□ا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَاد□ا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2].

الأصل في الفعل الماضي أن يدل على الزمن الماضي غير أنه في مواضع يعدل عن ذلك بسبب السياق، فالفعل " **جعل**" هنا ذو دلالة زمنية عامة بمعنى أنه يدل على فعل وقع في الماضي واستمر في الحاضر والمستقبل، فهو لا يدل على حدث وقع ثم انتهى بل على حالة مستمرة وواقعة وذلك لأن السياق الذي جاء فيه هو سياق عرض النعم وبيان ماذا وهب الخالق وماذا أعطى، وهذا ما قاله الشيخ ابن عاشور

رحمه الله: " **فَإِنَّهُ لَمّا أَوْجَبَ عِبادَتَهُ أَنَّهُ خالِقُ النّاسِ كُلِّهِمْ أُتْبِعَ ذَلِكَ بِصِفَةٍ أُخْرى تَقْتَضِي عِبادَتَهم إيّاهُ وحْدَهُ، وهي نِعَمُهُ المُسْتَمِرَّةُ عَلَيْهِمْ مَعَ ما فِيها مِن دَلائِلِ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ فَإِنَّهُ مَكَّنَ لَهم سُبُلَ العَيْشِ وأَوَّلُها المَكانُ الصّالِحُ لِلِاسْتِقْرارِ عَلَيْهِ بِدُونِ لُغُوبٍ فَجَعَلَهُ كالفِراشِ لَهم**"[3].

فالفعل "جعل" دلّ على خلق الأرض والسماء وجعلهما على هذا الشكل الذي نراه وهذا الاستمرار يدل على عظيم قدرته ورحمته بالناس.

---

[1]- السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، تح: د محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط1، 1989م، ص46.

[2]- البقرة، الآية 22.

[3]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص331.

2- قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [1].

سمعنا وعصينا: يفهم من سياق الآية سمعوا بأذانهم وعصوا بقلوبهم فاستعملت مجازا حيث لم ينطقو بسمعنا وعصينا ولكن فعلهم اقتضى ذلك، فالسمع الذي لا ينافي العصيان هو السمع بالآذان لا السمع بمعنى الإجابة وهذا ما قاله **أبو حيان(ت754هـ)** في تفسيره البحر المحيط:" **القَوْلُ هُنا مَجازٌ، ولَمْ ينْطِقُوا بِشَيْءٍ مِنَ الجُمْلَتَيْنِ، ولَكِنْ لَمّا لَمْ يقْبلُوا شَيئًا مِمّا أُمِرُوا بِهِ، جُعِلُوا كالنّاطِقِينَ بِذَلِكَ**"[2].

فهم السياق يساعد في تحديد دلالة الفعل بشكل أكثر دقة، قد يكون الفعل في سياق ما له دلالة سلبية، وفي سياق آخر له دلالة محايدة أو حتى إيجابية ف: سمعنا وعصينا هو فعل يشير لسلوك التناقض والتهكم فالدلالة السياقية لفعل تختلف باختلاف السياق.

3- قوله تعالى:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾[3].

قُضِيَ: يتبين لنا أن الله أتّم أمر العباد وحسابهم فأثيب الطائع وعوقب العاصي وأتم أمر إهلاكهم ووضع الماضي موضع المستقبل لدنو وتيقن وقوعه وهذا ما قاله الشيخ **ابن عاشور(1389هـ)** رحمه الله في تفسير التحرير والتنوير: " **الفِعْلُ الماضِي هَنا مُرادٌ مِنهُ المُسْتقْبَلُ، ولَكِنَّهُ أتى فِيهِ بِالماضِي تنْبِيهًا عَلى تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ أوْ قرْبِ وُقُوعِهِ، والمَعْنى ما يتَرَقبُونَ إلّا مَجِيءَ أمْرِ اللَّهِ وقَضاءِ الأمْرِ**"[4].

---

[1]- البقرة، الآية 93.

[2]- أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص494.

[3]- البقرة، الآية 210.

[4]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص287..

4- قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

وقع الفعل الماضي **نسينا وأخطأنا** بعد أداة شرط " إن" **فقلبت دلالته الزمنية من الماضي للدلالة على الاستقبال؛ أي إن نسينا أو أخطأنا مستقبلا لأن السياق سياق دعاء ولا تكون إجابته إلا في المستقبل وقد أشار ابن عطية إلى أن السياق سياق دعاء في قوله:" ذهب كثير من العلماء إلى أنّ الدعاء في هذه الآية إنما هو في النسيان الغالب، والخطأ غير المقصود"** [2]، وهنا نلمح ما للسياق من أثر في توجيه دلالة الزمن.

5- قوله تعالى:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [3].

فصيغة الماضي **عسى** تدل على المستقبل فالمعنى هنا غالب في أفعال الرجاء كأن ما يرجى أن يكون قد كان و أصبح في المحقق المستجاب، حيث أنّ كل ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه، وهو مناط صلاحهم و ما نهوا عنه، فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بهم إلى الردى، فصيغة الفعل الماضي تدل على المستقبل إذا وردت في سياق رجاء لأنها تفيد أن الخبر الذي بعدها مأمول، أي متوقع في المستقبل وفيه قال **فاضل صالح السامرائي:" استعملت عسى فعلا لرجاء حصول الفعل في المستقبل"**[4].

فالدلالة الأصلية للفعل هي المضي بينما الدلالة التي تفهم من السياق هي الاستقبال.

---

[1]- البقرة، الآية286.

[2]- ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص394.

[3]- البقرة، الآية216.

[4]- فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج1، ص268

6- قوله تعالى:﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾[1].

وردت **رأوا** بصيغة ماضي للتنبيه على تحقيق وقوعه، والقرينة قوله تعالى في الآية بعد: " **(كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ)** (البقرة167) الذي هو مستقبل، إذ ليست الرؤية المذكورة بحاصلة في الحال، فكأنه قيل لما يرون العذاب، يرون ما سيحدث لهم من عقاب بسبب خطاياهم وتبعيتهم لغير الصادقين وهذه الرؤية ستكون مستقبلا لأن يوم القيامة لم يأت بعد، وعبر عنه بصيغة الماضي " رأوا" لتهويل الوقت باعتبار ما وقع فيه وهو رؤية العذاب ونستدل بقول الشيخ **ابن عثيمين (ت1421هـ)** رحمه الله:" **نحن أمامنا الآن فعل ماض في تبرأ وفعل ماض في رأوا مع أن هذا الأمر مستقبل، لكن لتحقق وقوعه عُبِّر عنه بالماضي**"[2].

وعليه فالدلالة السياقية وضحت الدلالة الزمنية للفعل في سياق الآية وهذا يثبت فاعلية السياق في تحديد المعنى المراد.

7- قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3].

ورد الفعل " **ابيضّت** " في الماضي غير أن دلالته في المستقبل والسياق هو من حدد ذلك فيوم القيامة من كان طائعا لأوامر الله متجنبا نواهيه ابيض وجهه ونال الجنة على عكس من كفر بالله وعصاه فمعنى ابيضت بالرجوع للسياق "**ستبيض وجوههم**" **وعبر عنها المولى بالماضي يقينا بوقوعها، والبياض حينها سيكون** " شِعارُ أهْلِ النَّعِيمِ"[4].

---

[1]– البقرة، الآية 166.

[2]–محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرين الكريم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط3، 1435هـ، ج2، ص228.

[3]– آل عمران، الآية107.

[4]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص44.

8- قوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

كان تفيد المضي لكنها أحيانا تدل على الاستمرار وذلك إذا كان الخبر عن الله سبحانه وتعالى، ففي قوله: **(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)** يدل على استمرار مضمون الخبر في كل زمن ذلك أنّ الله لم يزل متصفا بهذه الصفات، فالله منزه عن الدخول تحت زمن يراقبنا في كل مكان وزمان، فكان أفادت الديمومة والاستمرارية وفيها يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:" من الفوائد اللغوية أنه كان قد تسلب دلالتها على الزمان، لأنّها لو دلت على الزمان في قوله **(إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا")** النساء11، لكان الرب عز وجل الآن ليس عليما ولا حكيما، لكنها أحيانا تسلب دلالتها على الزمان ويكون مدلولها مجرد الحدث"[2]، ويفهم ذلك بالرجوع للسياق هو من يحدد إن كانت مجردة من الزمن أم لا.

9- قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[3]

كان: فائِدَةُ (كانَ) التَّأْكِيدُ بِبَيانِ أنَّ كَيْدَهُ مُذْ كانَ ضَعِيفٌ، وقِيلَ: **هي بِمَعْنى صارَ، أيْ: صارَ ضَعِيفًا بِالإسْلامِ، وقِيلَ: إنَّها زائِدَةٌ، ولَيْسَ بِشَيْءٍ ﴿كان ضعيفا﴾إشعارا بأن هذا الوصف سابق لكيد الشيطان، وأنه لم يزل ضعيفا[4].**

يتبين لنا أن " كان" هنا بالرجوع لسياق الآية منعدمة زمن فكيد الشيطان واهيا ضعيفا في كل زمان ماضيا كان أو حاضرا أو في المستقبل.

---

[1]-النساء، الآية 1.

[2]- بتصرف من تفسير القرآن الكريم.

[3]- النساء، الآية72.

[4]- الآلوسي، روح المعاني، ج3، ص82.

10- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾[1] .

حصرت: لفظه ماض والمعنى على المضارعة أي جاؤوكم تحصر صدورهم، "لأن الحصر كان موجودا وقت مجيئهم فحقه أن يعبر عنه بفعل الحال"[2]، فالتقدير قد حصرت فـ" قد" ظاهرة أو مضمرة قبل الماضي تقربه من زمن الحال، والعلة في استعمال زمن الماضي مكان الحال للدلالة على حصول الضيق قبل مجيئهم، فكأنهم عندما ضاقوا جاؤوكم، وهذا المعنى لا يتحقق لو جاء الفعل مضارعا إذ يتوهم أن المجيء هو سبب الضيق، وليس الضيق سبب المجيء فدل الماضي على سبق تحقق الأمر، فحصرت تدل على حالة نفسية أو انفعالية وهي الضيق والكره بسبب قتال قومه، مما يؤدي إلى حبس صدورهم عن القتال.

وهنا يبرز أثر الدلالة السياقية في توجيه الدلالة الزمنية للفعل حصرت.

11- قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3].

يئس فعل ماضي غير أنه يدل على الحاضر وذلك لأنه سبقها ظرف زمان" اليوم" وهذا منع الفعل من الدلالة على الزمن الماضي حتى وإن ورد الفعل بصيغة الماضي إلا أنّ المعنى يبقى حاليا، وذلك لأن القرينة أو الظرف الذي يلازمه لا يسمح باتجاه الفعل إلى اتجاه آخر غير ذلك الاتجاه.

---

[1]- النساء، الآية 90.

[2]- العبكري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995م، ج1،ص294.

[3]- المائدة، الآية 3.

ونجد قول الرازي يوضح ذلك بقوله:" أَنَّهُ لَيْسَ المُرادُ هو ذَلِكَ اليوْمَ بِعَيْنِهِ حَتّى يُقالَ إنَّهم ما يَئِسُوا قبلَهُ بِيوْمٍ أوْ يوْمَيْنِ، وإنَّما هو كَلامٌ خارِجٌ عَلى عادَةِ أهْلِ اللِّسانِ مَعْناهُ لا حاجَةَ بِكُمُ الآنَ إلى مُداهَنَةِ هَؤُلاءِ الكُفّارِ لِأنَّكُمُ الآنَ صِرْتُمْ بِحَيْثُ لا يَطْمَعُ أحَدٌ مِن أعْدائِكم في توْهِينِ أمْرِكم، ونَظِيرُهُ قوْلُهُ: كُنْتَ بِالأمْسِ شابًّا واليوْمَ قَدْ صِرْتَ شَيْخًا، ولا يُرِيدُ بِالأمْسِ اليوْمَ الَّذِي قبْلَ يوْمِكَ، ولا بِاليوْمِ يوْمَكَ الَّذِي أنْتَ فِيهِ.

12-قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1].

وقفوا: ماض لفظا والمعنى به الاستقبال، حيث وقع بعد " إذ" التي هي في موضع إذا التي هي لما يستقبل، وجاز ذلك لأن الأمر المتيقن وقوعه يعبر عنه كما يعبر عن الماضي، فالوقوف على النار أمر قطعي للذين كذبوا بآيات الله وأكّد الشيخ الطاهر بن عاشور ذلك في قوله:" وجِيءَ فِيهِ بِصِيغَةِ الماضِي لِلتَّنْبِيهِ عَلى تَحْقِيقِ وُقُوعِهِ لِصُدُورِهِ عَمَّنْ لا خِلافَ في خَبَرِهِ"[2].

وهنا يظهر جليا أثر الدلالة السياقية في توجيه الدلالة الزمنية وفق ما يناسب المعنى.

13- قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [3].

جاء: فعل ماض نزح عن دلالته المعجمية إلى دلالة سياقية فلا يقصد به المجيء، أي القدوم إنما في سياق الآية ورد بمعنى عمل وفي هذا يقول **الشيخ الطاهر بن عاشور(ت1389هـ):**" **وجاءَ بِالحَسَنَةِ مَعْناهُ عَمِلَ الحَسَنَةَ**"[4]، كما أنه نزح عن دلالته الأصلية إلى دلالة فرعية وذلك

---

[1]- الأنعام، الآية 27.

[2]- الطاهر ين عاشور، التحرير والتنوير، ج7، ص184.

[3]- الأنعام، الآية160.

[4]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج8، ص185.

بالعدول عن الزمن الماضي إلى الزمن العام، فالذي يعمل حسنة كائنا من كان من العالمين في أي زمان له عشر أمثالها فالفعل أفاد الديمومة والاستمرارية.

وكخلاصة لما سبق يتضح من الأمثلة السابقة أن السياق سواء كان نصيا أو تداوليا أو بلاغيا هو الذي يحدد المعنى الدقيق للفعل الماضي، فالدلالة الزمنية ليست مطلقة، بل نسبية ومتغيرة بتغير المقام والمقال، وهو ما يعكس مرونة اللغة وقدرتها على التعبير عن مستويات زمنية ومعنوية متعددة باستخدام صيغ محدودة، فالدلالة السياقية " المقامية" هي ركن أساسي في استنباط المعنى المراد وذلك بالرجوع للسياق الذي يرد فيه الكلام ككل، ويتعلق بما قد يقع قبل أو بعد الفعل فعلى الرغم من دقة وشمول المعاجم في منحنا دلالات كثيرة للكلمة الواحدة غير أنه ينظر إلى المعاجم على أنها لا تفي بالغرض إذا ما رغبنا في حصر دقيق للدلالة بحسب السياقات وتنوعها أو المواقف التي ترد فيها عبارة الكلام، لذلك فإن تحديد معنى الكلام بشكل دقيق يتطلب الاستعانة بوسائل أخرى غير المعجم ومنها معرفة نسق الكلام ونظمه، فإن دراسة الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، فالسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها.

الفصل الثانـي

الدلالـة السياقيـة للفعل المضارع

1-الفعل المضارع:

يقول **سيبويه** في تعريف الفعل المضارع: "**أما بناء ما لم يقع فإنه قولك ... مخبرا: يقتل ويذهب، ويُضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت**"[1]. يظهر من قول **سيبويه** أنّه ربط الدلالة الزمنية للفعل المضارع بالحال والاستقبال مع إفادته معنى الخبر لا الطلب.

ويعرفه **أحمد الهاشمي(ت1943هـ)** بقوله:" الفعل المضارع ما يدل على حدث يقع في زمان المتكلم أو بعده: كيقرأ"[2].

كما يعرفه **عباس حسن(1399هـ)** بقوله:" كلمة تدل على أمرين معا معنى، وزمن صالح للحال والاستقبال"[3].

إذن الفعل المضارع ما كان على وزن يفعل ويدل على وقوع الحدث في زمن المتكلم أو بعده.

2- الدلالة السياقية للفعل المضارع:

هناك عدة دلالات للفعل المضارع منها:" **أن يأتي المضارع متصل دائما بالدلالة على عدم تمام الحدث سواء اتصل فيه الحال بالمستقبل أم كان خالصا في المستقبل وهذا هو الأصل، ولكن وقوعه مثلا بعد أداة الجزم –لم- يقلب زمانه إلى الماضي**"[4].

ومن هنا ندرك أهمية دراسة الفعل – المضارع – لما له من معان ثانوية لا نهتدي إليها بوساطة المعجم اللغوي، بل نهتدي إلى هذه المعاني باللجوء إلى السياق والنص، والمشهور بين علماء اللغة أنّ الفعل المضارع يدل على الحال أو على الاستقبال ونقول أن هذه الدلالة للفعل المضارع ليست هي الوحيدة له بل هناك دلالات يضيفها السياق بوصفه جسماً متكاملاً، فيستمد المضارع بعض دلالاته الجديدة من ذلك السياق، ومنه يتبين لنا أن السياق هو الفاصل

---

[1] – سيبويه، الكتاب، ج1، ص12 .

[2]– أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر، بيروت، ص18 .

[3] – عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، ج1، ص47.

[4] – عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م، ص61.

في تحديد الدلالة الأصلية للفعل والدلالة الفرعية يعني أن للفعل المضارع دلالتين دلالة ثابتة وهي الدلالة المركزية (المعجمية)، ودلالة مؤقتة وهي دلالة يحملها السياق.

- **أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية**

سنعرض نماذج من القرآن لتوضيح ذلك:

1- **قوله تعالى:﴿ٱللهُ يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيٰنهم يعمهون﴾**[1].

للفعل "يستهزئ " دلالتان: دلالة مركزية (معجمية) وهي السخرية، قال:" **التهزء والهزؤ: السخرية، واستهزأ به سخر**"[2] والمقصود هنا الكلام على التنقص، الهزل، اللعب، السخرية أو الاستخفاف، ودلالة فرعية تفهم من خلال السياق الذي وردت فيه وهي كالآتي:

بما أنّ الاستهزاء هو السخرية كيف يجوز وصف الله تعالى بأنه يستهزئ وقد ثبت أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس، وهو على الله محال؛ ولأنه لا ينفك عن الجهل، لقوله: ﴿قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ [البقرة: ٦٧] والجهل على الله محال والجواب أن " ما يفعله الله بهم جزاء على استهزائهم سماه بالاستهزاء؛ لأن جزء الشيء يسمى باسم ذلك الشيء قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ (الشورى: ٤٠)و ضرر استهزائهم بالمؤمنين راجع عليهم وغير ضار بالمؤمنين، فيصير كأن الله استهزأ بهم"[3] ولا نقصد بها السخرية كما أن من آثار الاستهزاء حصول الهوان والحقارة فذكر الاستهزاء، والمراد حصول الهوان لهم تعبيرا بالسبب عن المسبب .

---

[1]- البقرة، الآية15.

[2] - إبراهيم بن سعد أبا حسين, معجم التوحيد،ج1، ص120.

[3]- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص309

2-قال تعالى:﴿ يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[1].

المعنى المعجمي ليصور تعني "يشكل" أو "يرسم" أما المعنى السياقي هنا يصوركم أي بمعنى يخلقكم فسبحانه وتعالى بين مراحل خلق الإنسان في رحم الأم، وتشكيله في أطوار مختلفة. المعنى يتجاوز التشكيل المادي ليشمل التنوع في الصفات والهيئات، مما يعكس قدرة الله وحكمته في الخلق، فقد "أخبر عن صنعه، ليعتبروا بذلك فقال تعالى: **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ أي يخلقكم كيف يشاء قصيراً أو طويلاً، حسناً أو ذميماً، ذكراً أو أنثى**"[2].

3- قال تعالى:﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[3].

المعنى المعجمي: يحب تعني يميل إلى أو يود، أما المعنى السياقي في هذه الآية القرآنية "يحبهم" تعني أن الله يرضى عنهم ويكرمهم، و"يحبونه" تعني أنهم يطيعونه ويتبعون أوامره، فالمحبة هنا ليست مجرد عاطفة، بل تشمل الطاعة والرضا الإلهي، كما ذكرها الطاهر بن عاشور(**ت1389هـ**) "**محبة الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له، ومحبة العبد ربه انفعال النفس نحو تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه. فهي صفة تحصل للعبد من كثرة تصور عظمة الله تعالى ونعمه حتى تتمكن من قلبه، فمنشؤها السمع والتصور، وليست هي كمحبة استحسان الذات**"[4].

4- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[5].

---

[1]- آل عمران، الآية6.

[2] - أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم،ج1، ص193.

[3]- المائدة، الآية54.

[4] - الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج6، ص236.

[5]- الأنعام، الآية36.

تضمنت هذه الآية الكريمة فعلين مضارعين يختلف معناهما في السياق عن المعنى المعجمي الأصلي، فالمعنى المعجمي لـ**يسمعون**: يُدركون الأصوات بحاسة السمع، أما معناها السياقي: يُصغون ويتدبرون ويُؤمنون بالحق، أي يستجيبون له يقول **الألوسي** في تفسيره روح المعاني:" **والمراد بالسماع الفرد الكامل وهو سماع الفهم والتدبر بجعل ما عداه كلا سماع أي إنما يجيب دعوتك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع فهم وتدبر**"[1].

والمعنى المعجمي لـ**يرجعون**: يعودون إلى مكان أو حالة سابقة، أما المعنى السياقي: يُعادون إلى الله للحساب والجزاء يوم القيامة، يقول الثعالبي **(885هـ): ثُمَّ إِلَيْهِ، أي: إلى سطوته، وعقابه يُرْجَعُونَ**"[2].

5-قال تعالى:﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾[3].

المعنى المعجمي للفعل يخافون مشتق من الخوف ويعني الشعور بالرهبة أو القلق من شيء ما أما معناها السياقي في هذه الآية يشيرالفعل إلى الرجلين اللذين يخافان الله تعالى بمعنى يتقيانه سبحانه و تعالى مما يدفعهما إلى طاعته وتشجيع قومهما على دخول الأرض المقدسة، فقد كان من الذين يخافون الله وأنعم الله عليهما بالهداية والثقة بعون الله تعالى والاعتماد على نصرة الله"[4]، فرزقهما الله بالإيمان الصحيح؛ وربط الجأش؛ والثبوت في الحق.

6-قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

الفعل المضارع "يَكْتُمُون من الفعل: كَتَمَ، وفي المعاجم: الكَتْمُ هو الإخفاء، سواءٌ كان للقول أو للعمل أو للنية وقد يُستخدم في السياقات العامة مثل: كَتَمَ السرَّ (أي لم يُفْشِه)، كَتَمَ الغيظَ،

---

[1]- الآلوسي، روح المعاني، ج4، ص134.

[2] - الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج2، ص461.

[3]- المائدة، الآية23.

[4]- محمد بن عمرنووي الجاوي البنتني، تح: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج1، ص261.

كَتَمَ الحقيقة إذن المعنى المعجمي: إخفاء شيء عن العلم أو العلن دون دلالة على أنه خير أو شر، وإنما هو توصيف للفعل نفسه بينما المقصود سياقيا في هذه الآية يتحدث عن الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، ثم يصفهم بأنهم "يَكْتُمُونَ ما آتاهم الله من فضله "هنا الكتمان ليس فعلاً مجردًا، بل فعلٌ مقترنٌ بالبخل، والتوجيه إلى البخل، وهو كتمان لنعم الله، سواء كانت مالاً، أو علمًا، أو توفيقًا، أو دينا، يقول **عبد الرحمان السعدي** في تفسير يكتمون:" **أي من العلم الذي يهتدي به الضالون ويسترشد به الجاهلون فيكتمونه عنهم، ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق. فجمعوا بين البخل بالمال والبخل بالعلم، وبين السعي في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم، وهذه هي صفات الكافرين**"[1].

فإخفاء نِعَم الله عن الناس، سواء بمنعها أو بعدم الإقرار بها أو بعدم مشاركتها، وهو ما يدل على نكران الفضل، والأنانية، والتقصير في أداء حق النعمة، فالكتمان هنا هو جزء من سلسلة من السلوكيات المذمومة التي تُظهر فساد القلب ونكران الجميل، وليس مجرد "إخفاء معلومة" كما قد يُفهم من المعنى اللغوي المجرد.

7- قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾[2].

المعنى اللغوي لكلمة "تُقَاتِلُونَ" مأخوذة من الجذر: قتل، و يدل على القتل والمقاتلة على صيغة مفاعلة، تفيد المشاركة والمواجهة في القتال بين طرفين في الحرب تُقَاتِلُونَ: فعل مضارع مرفوع، يدل على الاستمرار والتجدد في الدخول في القتال أو الحرب، مع وجود طرف مقابل، فيكون بذلك المعنى المعجمي المباشر أماته، أزهق روحه أو فتك به.

أما معناها السياقي في هذه الآية، يوبخ الله تعالى المؤمنين الذين لم ينهضوا للجهاد رغم وجود مبررات قوية لذلك، مثل: أن القتال في سبيل الله أي لأجل إعلاء كلمة الله وللدفاع عن

---

[1] – عبد الرحمان السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، ج1، ص177.

[2]– النساء، الآية 75.

المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين لا حيلة لهم ويُظلمون ويُستضعفون، الآية تبدأ باستفهام توبيخي: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُون).

أي: ما الذي يمنعكم؟ ما عذركم؟ كيف لا تبادرون بالجهاد في موقف كهذا؟ يقول الرازي في هذا الفعل: " **دلّ على أن الجهاد واجب، ومعناه أنه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين إلى ما بلغ في الضعف، فهذا حث شديد على القتال، وبيان العلة التي لها صار القتال واجبا، وهو ما في القتال من تخليص هؤلاء المؤمنين من أيدي الكفرة، لأن هذا الجمع إلى الجهاد يجري مجرى فكاك الأسير** "[1].

ففي هذا السياق، كلمة "تُقَاتِلُونَ" لا تعني فقط القتال بمعناه الجسدي أو الحربي، بل تتجاوز ذلك لتصبح رمزًا للنخوة الدينية والإنسانية، نداءً للقيام بالواجب تجاه الله وتجاه المظلومين، وعتابًا على التقاعس والتخاذل رغم أن الظروف تستدعي النهوض والجهاد.

8- قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[2].

التحليل المعجمي للفعل المضارع "يَسْتَفْتُونَكَ" من الفعل استفتى، و يدل على طلب الفتوى، أي طلب بيان الحكم الشرعي في مسألة من المسائل وفي المعاجم يقال:" أَفْتَى العالمُ في المسألة" أي بيّن حكمها، و"استفتى الرجلُ العالِمَ" أي طلب منه بيان الحكم الشرعي، إذن المعنى المعجمي الدقيق: يطلبون منك الحكم الشرعي في مسألة معينة.

بينما معناها في سياق هذه الآية من سورة النساء يتعلق بأحكام النساء واليتامى والميراث، وخاصة ما يُسمى بـ"الكلالة" أي **من يموت ولا يترك والدًا ولا ولدًا فقوله: "يَسْتَفْتُونَكَ" هنا جاءت في سياق ثانٍ، بعد أن وردت أحكام مشابهة في بداية السورة... لكن هذا الاستفتاء الجديد يحمل دلالة أعمق من مجرد طلب الحكم الشرعي فالكثير من المفسرين يشيرون إلى**

---

[1]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج10، ص141.

[2]- النساء، الآية176.

أن هذا الاستفتاء ليس خالص النية، بل فيه نوع من المراء أو الاعتراض على الأحكام الشرعية التي نزلت، فذكر البيضاوي في كتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل:" أن عُيَيْنة بن حِصن أتى النبي فقال: أُخبِرنا أنّك تعطي الابنة النصف والأخت النصف، وإنّما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة، فقال عليه الصلاة والسلام: كذلك أُمِرْت"[1] أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصبيان.

أ- أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية

يعد الفعل المضارع في اللغة العربية دالا في الأصل على الزمن الحاضر أو المستقبل، إذ يشير إلى حدث يقع أثناء زمن التكلم أو بعده، غير أن هذه الدلالة الزمنية ليست مطلقة أو ثابتة، بل تتأثر بالسياق اللغوي والبلاغي والنصي الذي يرد فيه الفعل، ما يؤدي إلى تغير دلالته الزمنية، أو تحولها إلى دلالات أخرى غير زمنية.

1-قال تعالى: ﴿وَإِذْ يرفع إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

سياق الآية يستحضر صورة بناء الكعبة وهنا تذكير لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام البيت ورفعهما القواعد منه، فهما في عمل صالح ويسألان الله تعالى أن يتقبل منها هذا العمل، فصيغة المضارع- يرفع - دلالة على رفعة الأرض الشريفة (الكعبة) التي بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وأثر صيغة المضارع تحمل لنا عدة دلالات باعتبار القصة ماضية، يقول الألوسي في هذه الدلالة:" **وآثر صيغة المضارع مع أن القصة ماضية استحضاراً لهذا الأمر ليقتدي الناس به في إتيان الطاعات الشاقة مع الابتهال في قبولها وليعلموا عظمة البيت المبنى فيعظموه**

---

[1]- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج2، ص100.

[2] - البقرة، الآية 127.

"[1]، وذلك لكي يتعظ الناس بها وما فيها من عبر أي بالرغم من أنّ إبراهيم وإسماعيل أنبياء الله وقاموا بعملية البناء بمشيئته سبحانه وتعالى ولا يزالون يدعون الله بأن يتقبل أعمالهم، ففي هذا إرشاد بأن المسلم يجب أن يكون قلبه متعلقاً بالله سبحانه وتعالى.

القرينة التي تدل على أن الفعل المضارع دال على الماضي في هذا السياق هي–إذ– التي لحقت بصيغة المضارع وهذا ما دل عليه الطاهر بن عاشور(ت1389هـ) حين قال:" وكلمة إذ قرينة على هذا التنزيل لأن غالب الاستعمال أن يكون للزمن الماضي وهذا معنى قول النحاة أن إذ تخلص إلى الماضي"[2]، وقد أشار أيضا أن الفعل المضارع هو لاستحضار الحالة التي وقعت في الماضي وذلك في توجيهه البلاغي حين قال:" هنا استعارة تبعية بالحال لشهرته ولتكرر الحديث عنه بينهم فإنهم لحبهم إبراهيم وإجلالهم إياه لا يزالون يذكرون مناقبه وأعظمها بناء الكعبة فشبه الماضي لذلك الحال ولأن ما مضى من الآيات في ذكر إبراهيم فيوجب امتلاء أذهان السامعين بإبراهيم وشؤونه حتى كأنه حاضر بينهم وكأن أحواله حاضرة مشاهدة"[3]، وهذه الآية بما فيه من دلالات تجعل القارئ في ديمومة مستمرة ومتجددة في تذكر قصص الأنبياء والامتثال أمامها والاقتداء بها.

2–قوله تعالى:﴿ فَإِن لَّم تَفعَلُوا وَلَن تَفعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلحِجَارَةُ أُعِدَّت لِلكَٰفِرِينَ﴾ [4].

خرجت الدلالة الزمنية الأصلية للفعل " تفعلوا" وهي الحاضر إلى دلالة زمنية فرعية وهي الماضي فقد سبق ب " لم"، وهي قرينة لفظية تفيد: نفي الفعل في الماضي – قبل لحظة النطق– إذًا زمن " لم تفعلوا" هنا هو ماضٍ منفي؛ أي: لم يحصل منكم الفعل (الإتيان بسورة من مثل القرآن) في الماضي حتى الآن، فقد كانت للعرب مجامع يلتقون فيها للتشاور والتعاون،

---

[1] – الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص383.

[2] – الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص718.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– البقرة، الآية 24.

وكانوا يحرصون على حثّ خاصتهم للدفاع عن قبائلهم ودينهم والانتصار لآلهتهم، ومنع رجالهم من دخول الإسلام، لما عُرف عن العربيّ من كراهية للاستكانة. ومع هذا، لم يأتِ أحد بمثل القرآن، دليلاً على أنهم لم يجيئوا بمثله حقا وأنه من عند الله، ولو وُجد ما يضاهي القرآن، لفرحوا بذلك ونشروه، فهم معتادون على تناقل كلام بلغائهم، فكيف لو وجدوا ما يردّ عنهم هذا التحدي؟

يقول **الثعلبي(تـ427هـ)** في تفسيره:" **فإن لم تفعلوا أي فإن لم تجيئوا بمثل القرآن فيما مضى** "[1]. فقد أتت " فَإِن لَّم تَفعَلُوا" بعد التحدي: ﴿ **فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ**﴾ ويُراد بها بيان فشلهم في الاستجابة للتحدي السابق وتقرير عجزهم التام عن الإتيان بسورة مثل القرآن، رغم تكرار الدعوة، ومرور الوقت، وامتلاكهم الفصاحة واللغة، فالزمن هنا ليس مقصودًا لذاته، بل هو وسيلة لبيان عجزهم التام في الماضي حتى الآن، رغم توفر الفرصة والقدرة الظاهرية أنه كلام من قدرته فوق طوق البشر.

3- قال تعالى:﴿فَإِن لَّم تَفعَلُوا وَلَن تَفعَلُوا فَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلحِجَارَةُ أُعِدَّت لِلكَٰفِرِينَ﴾[2].

خرجت الدلالة الزمنية الأصلية للفعل " تفعلوا" وهي الحاضر إلى دلالة زمنية فرعية وهي المستقبل فقد سبق ب " لن"، وهي قرينة لفظية حسُن موقعها للدلالة على نفي المستقبل، فالنفي بها آكد من النفي بلا. ولهذا قال **سيبويه(تـ170هـ):** "لا لنفي "يفعل"، ولن لنفي "سيفعل" "[3]. فإذا كانت لنفي المستقبل فإنّها تدل على النفي المؤكد؛ لأنّه دلّ على استغراق جميع أزمنة المستقبل إذ ليس بعضها أولى من بعض، ومن أجل ذلك قال **الزمخشري(تـ538هـ):" بإفادتها**

---

[1] – الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج1، ص169.

[2]– البقرة، الآية24.

[3] – أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، معنى لا إله إلا الله، تح: علي محيي الدين علي الغرة راغي، دار الاعتصام القاهرة ط3، ج1، ص155.

التأبيد حقيقة أو مجازا وهو التأكيد، وقد استقريت مواقعها في القرآن وكلام العرب فوجدتها لا يؤتى بها إلا في مقام إرادة النفي المؤكد أو المؤبد" [1].

وفي ﴿ ولن تفعلوا﴾ كأن المتحدي يتدبر في شأنهم، ويزن أمرهم فيقول: أولا ائتوا بسورة، ثم يقول: قدروا أنكم لا تستطيعون الإتيان بمثله وأعدوا لهاته الحالة مخلصا منها، يقول الطاهر بن عاشور **(ت1389هـ)** في تفسيرها:" **ها قد أيقنت وأيقنتم أنكم لا تستطيعون الإتيان بمثله، مع ما في هذا من توفير دواعيهم على المعارضة بطريق المخاشنة والتحذير**"[2].

قوله ﴿ولن تفعلوا﴾ من أكبر معجزات القرآن فإنها معجزة من جهتين: الأولى أنها أثبتت أنهم لم يعارضوا لأن ذلك أبعث لهم على المعارضة لو كانوا قادرين، فلم يأتِ أحد من العرب، ولا من بعدهم، بما يضاهي ويعارض القرآن، ولن يأتوا بذلك في المستقبل، مما يجعل هذه الآية معجزة قائمة على الإخبار بالغيب، مستمرة عبر السنين، فقد تكررت في القرآن آيات التحدي التي سمعها المعاندون من العرب، ورغم إنكارهم للرسول، لم يقدروا على معارضته، فكان ذلك دليلاً دائمًا على صدقه.

4- قال تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [3].

الفعل " فَسَيَكْفِيكَهُم" هو فعل مضارع مسبوق بـ"السين"، وقد اتصل به ضمير المخاطب (الكاف) وضمير المفعول به الثاني, سـ: حرف تسويف، يدل على المستقبل القريب.

الدلالة الزمنية الأصلية: للفعل للمضارع "يَكْفِي" هي الحاضر لكن بدخول حرف السين ("سَ") عليه، تصبح دلالتة الزمنية الفرعية في هذا السياق القرآني المستقبل القريب، أي: سيحدث بعد وقت قليل .ونقصد ب "سَيَكْفِيكَ" أي سيتولى الله كفايتك منهم في المستقبل القريب فقد ذكر الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير أن هذا الفعل جاء:" تثبيتا للنبيء لأن إعلامه بأن هؤلاء في شقاق مع ما هو معروف من كثرتهم وقوة أنصارهم مما قد يتحرج له السامع

---

[1] – الألوسي، روح المعاني، ج9، ص191.

[2]– الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص342.

[3]– البقرة، الآية 137.

فوعده الله بأنه يكفيه شرهم الحاصل من توليهم. والسين حرف يمحض المضارع للاستقبال"[1] وهذا الفعل المضارع هنا لا يُراد به فقط الإخبار عن وقوع الفعل مستقبلًا، بل يحمل أيضا وعدا إلهيًّا أكيدًا بالنصر، فالسين هنا لتحقيق وعد الله رسوله بأنه يكفيه سوء شقاقهم اطمئنانا ومواساتا له وقد تحقّق هذا الوعد بعد ذلك فعلًا، فكفاه الله أذاهم بالنصر والتأييد، ما يعطي للفعل دلالة " التحقق المؤكد" لا مجرد المستقبل المحتمل، لأنه صيغَ بالمضارع المسوف .

5-قال تعالى:﴿يكاد البرق الخطف أنصارهم﴾ [2].

ورد الفعل يخطف بصيغة المضارعة وهي صيغة لا تدل على الحال ولا على المستقبل المطلق، بل إنّها تدل في هذه الآية على المستقبل المقارب، وذلك لتقدّم فعل المقاربة (يكاد) عليه، وفعل " يَكَادُ" يدل على أن الفعل الذي يليه قارب الوقوع ولم يقع بعد، فيكون المعنى: قارب البرق أن يخطف أبصارهم فـ" الخطف" لم يقع بعد، وإنما أشرف وأوشك على الوقوع بسبب شدة لمعان البرق وسرعته، مما يوحي بقرب وقوع الخطف دون تحققه فعليًا.

6-قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون﴾ [3].

وردت هذه الصيغة الفعلية يكذبون لدلالة على زمن غير زمن الحال والاستقبال الذي هو الأصل في الفعل المضارع يكذبون، حيث إن السياق الذي ورد فيه هذا الفعل (يكذبون) "دل على أن الزمن في الماضي لأن هذه الآية والآيات التي قبلها تخبرنا عن المنافقين من الأنصار في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم"[4]، وهم قوم أخفوا كفرهم على الرسول وأظهروا إيمانهم عند لقائهم له، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ(8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة – 8، 9،10)

---

[1]– الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج1، ص741.

[2]– البقرة، الآية120.

[3]– البقرة، الآية10.

[4]ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1، ص291 .

إن الدلالة الزمنية للفعل (يكذبون) في هذه الآية لا يدل على الماضي الزمن المنقضي، وإنما يُعبر عن حالة مستمرة ومتجددة عبر الأزمنة، وبناءً على هذا الفهم، فإن العذاب الأليم لا يقتصر على المنافقين من الأنصار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، بل يشمل كل منافق في كل زمان، ويؤكد ذلك اقتران الفعل المضارع "يكذبون" بالفعل الماضي الناقص " كانوا"، مما يدل على استمرار الفعل وتجدد وقوعه، حيث " **دلت (كان) على انتساب الكذب إليهم في الماضي ويكذبون على انتسابه في الحال والاستقبال، والزمان فيهما مختلف ودفعه بأن كان دالة على الاستمرار في جميع الأزمنة ويكذبون دل على الاستمرار التجددي الداخل في جميع الأزمنة على علّاته**".[1]

14- قوله تعالى:" قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ..."[2].

خرجت هذه الصيغة الفعلية تقتلون عن دلالتها الزمنية الأصلية وهي الحال والاستقبال إلى الدلالة على الماضي، وذلك لورود القرينة اللفظية –من قبل– معها، حيث قال الواحدي في تفسيره البسيط: "وجاء (تقتلون) بلفظ الاستقبال والمراد له المضي؛ لأنه لا يذهب الوهم إلى غيره لقوله: ﴿مِنْ قَبلُ﴾"[3] وهناك قرينة مقامية أسهمت في الإشارة إلى أن الدلالة الزمنية للفعل (تقتلون) هو الماضي وليس المستقبل، حيث إن المقصودين بهذا الخطاب في هذه الآية هم اليهود الحاضرون مع الرسول صلى الله عليه وسلم " **الذين إذا قيل لهم آمنوا بالقرآن الذي أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم قالوا نؤمن بما أنزل علينا**"[4] ولكن اليهود المعاصرون للرسول صلى عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء بل أسلافهم من فعل ذلك، فإن الحكم قد شملهم هم أيضا، وفي هذا يقول ابن عطية(**518هـ**): "**وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأن الأمر مستمر. ألا ترى أن حاضري محمد صلى الله عليه وسلم لما كانوا**

---

[1]– الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص153.

[2]– البقرة، الآية 91.

[3] – الواحدي، التفسير البسيط، ج3، ص156.

[4] –ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1، ص179.

راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء.."[1] فالإتيان بالمضارع في قوله تقتلون مع أنّ القتل قد مضى لقصد استحضار الحالة الفظيعة.

15- قال الله تعالى:" وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ "[2].

دلالة الفعل المضارع " تحسونهم" في الآية الكريمة قوله تعالى:: { **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بإذنه) دلالة على أن المعركة دارت فعلاً وأنجز الله تعالى لهم وعده ففر المشركون أما مهم تاركين كل شيء هاربين بأنفسهم والمؤمنون يحسونهم حساً أي يقتلونهم قتلاً بإذن الله وتأييده لهم** "[3] وهذا الحدث المميز فيه تجسيد للمشهد واستحضار لتحقق وعده سبحانه وتعالى بأن تقاتلوا المشركين وتهزموهم شر هزيمة وذلك شريطة طاعة أمر الله، والفعل المضارع قد نقل لنا المشهد بمختلف أحداثه وأطواره بالرغم من حيزه الماضي وكأن مشاهده واقعة أمامنا، وهذا من أسرار جمالية دلالة الفعل المضارع في القرآن الكريم .

وما يؤكد هذه الدلالة الزمنية للفعل المضارع الدالة على الماضي ما ذهب إليه محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "**بأن القرينة (إذ) التي لها دلالة زمنية تصرف الفعل المضارع تحسونهم إلى الماضي وبما أن خاصيته الاستمرارية بهدف التجديد فإننا نلمس من هذه الآية أن وعد الله صادق بما فيه تذكير بعدم تحمل المسلمين لشروط الانتصار ففي الفعل – تحسونهم – تجدد الحس لحكاية ماضية**"[4]، يستشعرها القارئ والمستمع لها لأن أسلوب المضارع يُعيّشه تلك الأحداث –غزوة أحد– بمختلف مشاهدها وتنمي فيه ثقته بالله تعالى وتبيان مدى عفوه.

---

[1] – المصدر نفسه، ج1، ص179.

[2]– آل عمران، ص152.

[3]– أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر مكتبة العلوم الحكم, المدينة المنورة، السعودية، ط3، 1997م، ج1، ص393.

[4]– ينظر: الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج4، ص127.

الفصل الثالث

الدلالة السياقية لفعل الأمر

1- فعل الأمر:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب **لابن منظور(تـ711هـ)** في مادة (أ، م، ر) على أنه: "**أُمُرُه أَمْراً وإِماراً فأْتَمَرَ أَي قَبِلَ أَمْرَه؛ وأَمرتُه بِكَذَا أَمراً، وَالْجَمْعُ الأَوامِرُ، فِي التَّنْزِيل العزيزِ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ، والأمر: الْحَادِثَةُ، وَالْجَمْعُ: أمورٌ**[1].

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس**(تـ395هـ)**: الأمر:" **الْهَمْزَةُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ خَمْسَةٌ: الْأَمْرُ مِنَ الْأُمُورِ، وَالْأَمْرُ ضِدُّ النَّهْيِ، وَالْأَمَرَ النَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، وَالْمَعْلَمُ، وَالْعَجَبُ أَمْرٌ مَا أَتَى بك والأمر الَّذِي هُوَ نَقِيضُ النَّهْيِ قَوْلُكَ افْعَلْ كَذَا**"[2]، فالأمر في اللغة يعني الطلب في العموم وهو نقيض النهي.

ب- اصطلاحا:

إذا قلنا سابقا إنّ الزمن الماضي هو الذي انقضى وانتهى منه وإنّ الزمن الحاضر هو الذي نحن فيه، فإن الزمن المستقبل هو الذي لم ينقض ولا الذي نحن فيه، أي أنه الزمن الذي مازلنا ننتظره، وهذا ما أشار إليه **سيبويه (تـ170هـ)** في تعريفه لفعل الأمر بقوله: " **وأما بناء ما لم يقع فإنه قوله أمرا: اذهب واقتل واضرب** "[3].

والأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والاستلزام، وهذا ما أشار إليه عبد السلام هارون**(تـ1988م)** بقوله:" **هو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى حقيقة أو ادعاء أي سواء، أكان الطلب في واقع الأمر أم مدعيا ذلك**"[4].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص127.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص137.

[3]- سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

[4]- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1983م، ص13.

ومنه فالأمر هو طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء بأن يعد الآمر نفسه عاليا لمن هو أقل منه شأنا وهذا ما أشار إليه **الزركشي(ت794هـ)** في قوله:" **من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء على الخلاف فيه**"[1].

1- بالدلالة السياقية لفعل الأمر:

تعني المعنى الذي يتحقق لفعل الأمر بناء على السياق الذي يظهر فيه، أي كيف يؤثر هذا السياق على معنى الفعل، فهذه الدلالة لا تقتصر على المعنى اللفظي للفعل نفسه، بل تتجاوزه إلى المعنى الذي يفهمه المتكلم في موقف معين .

أ- أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية

1-قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [2].

الفعل " **اسجدوا**" يفيد الطلب الجازم من الأعلى إلى الأدنى، والسجود يقصد به الانقياد والخضوع في معناه المعجمي لكن في الآية له دلالة سياقية مفادها التحية لسيدنا آدم عليه السلام ولا يقصد بها السجود الفعلي الذي يتنافى مع الشرع؛ إنما هو أمر تعبدي صادر من الله تعالى إلى الملائكة بالسجود لآدم تكريما له وتقديرا لفضله ومنزلته، باعتباره مخلوقا اصطفاه الله وعلمه الأسماء كلها وهذا ما قاله أبو حيان في تفسيره:" كان السجود تكرمة وتحية له، فهو كسجود أبوي يوسف، لا سجود عبادة، أو لله تعالى"[3]، والسياق يظهر عظمة الموقف فالسجود لأحد مخلوقات الله هو أمر استثنائي لا يكون إلا بأمر إلاهي مباشر ويظهر من خلال السياق أنه امتحان وتمييز بين الطائع والعاصي ويظهر الفرق بين الطاعة التي تليق بملائكة مطهرين، وبين التمرد والاستكبار الذي قاد إبليس إلى الكفر، فجاء الفعل " اسجدوا

---

[1]- الزركشي، البرهان ف علوم القرآن، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، 1984م، ص312.

[2]- البقرة، الآية34.

[3]- أبو حيان، البحر المحيط،ج1، ص247.

بصيغة فعل الأمر لأنه أوج أساليب الطلب قوة وإلزاما مما يدل على أن الأمر الإلهي لا يحتمل التردد أو النقاش.

2-قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[1].

" **كونوا**" فعل أمر يفيد الطلب الجازم من الله تعالى، لكن هنا ليس على سبيل التكليف أو الطلب القابل للطاعة أو المعصية، بل هو أمر تكويني، أي أن الله إذا أصدر أمرا بحدوث شيء فكان فورا، فالمتأمل في الآية يدرك أن الأمر غير حقيقي ذلك لاستحالة تصيير أنفسهم قردة وعدم قدرتهم على ذلك وإنما الدلالة السياقية للفعل هنا هي سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك من غير امتناع كما أراد المولى عز وجل، وهذا ما أكده **الألوسي** بقوله:" (وكُونُوا) عَلى الأوَّلِ لَيْسَ بِأمْرٍ حَقِيقَةً لِأنَّ صَيْرُورَتَهم إلى ما ذُكِرَ لَيْسَ فِيهِ تَكَسُّبٌ لَهُمْ، لِأنَّهم لَيْسُوا قادِرِينَ عَلى قَلْبِ أعْيانِهِمْ، بَلِ المُرادُ مِنهُ سُرْعَةُ التَّكْوِينِ"[2].

إذن " كونوا" ليست دعوة أو طلبا قابلا للامتثال بل أمر تكويني صادر من الله لا يحتمل التأخير، ولا يرد، يحمل معنى التحول القهري الفوري جاء في سياق عصيان وتمرد من بني إسرائيل ليظهر قوة الله وسرعة عقوبته، ويجعل من المسخ عبرة لمن بعدهم وجاءت هذه العقوبة بعد استحقاق لا عشوائيا وفي ذلك عدل إلهي.

3-قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[3].

"**اجعلنا**" فعل في صيغة الأمر لكن ورد في سياق دعاء وطلب ورجاء لأنه لا يصح أن يأمر العابد المعبود فالأمر من الأدنى إلى الأعلى لا يسمى أمرا بل دعاء فالسياق هنا " اجعلنا" سياق خشوع وتوسل، فيه طلب التثبيت على الإسلام والإخلاص لله تعالى، ويعكس رغبة

---

[1]- البقرة، الآية65.

[2]- الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص283.

[3]- البقرة، الآية128.

النبيين سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في دوام الاستقامة لا مجرد الدخول في الإسلام، فهم مسلمون بالفعل" **لكنهم يسألون الله أن يثبتهما على الإسلام الكامل والخالص له فتضرعا له بالدعاء وسألاه أن يجعل من ذريتهم أمة مسلمة، كما أن هذا الفعل أفاد الاستمرار فهذا الدعاء متجدد فهما يرجوان أن يوفق ذريتهم في كل زمان، وهذا ما أشار إليه القرطبي في قوله:" سألا التثبيت والدّوام"**[1].

والسياق يعطي الفعل " اجعلنا" طابع التوسل والطلب الخاشع، لا الأمر الصريح، وفيه تعبير عن الافتقار الكامل لله في الهداية فهذه الأخيرة لا تكون إلا بتوفيق الله..

4-قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[2].

" **أذكروني**" فعل أمر من الله لعباده، يفيد الطلب الجازم، لكنه في هذا الموضع ليس أمر تكليف ثقيل، بل دعوة إلى القرب ومظهر من مظاهر الرحمة الإلهية وذكره عن طريق التسبيح والدعاء، والشكر والطاعة، وحضور القلب لأن الذكر لا يتعلق بذات الله تعالى وهذا يفهم من سياق الآية، فالتقدير كما قال **ابن عاشور(ت1389هـ)**:" **اذكروا عظمتي وصفاتي، وثنائي، ومحامدي، وهو من دلالة الاقتضاء**"[3]، فكلنا مأمورون بتذكر الله عند الإقدام على الأفعال لنذكر أوامره ونواهيه ومأمورون بذكر الله تعالى بالتسبيح والحمد أي الجمل التي تدل على تقديسه والدعوة إلى الطاعة .

نستنتج أن الذكر هنا يطلق على: الذكر القولي(التسبيح والتهليل)، الذكر القلبي(الخشية والطاعة)، الذكر العملي(الطاعة والامتثال) وما يمكن الوصول إليه هوأنّ الفعل " اذكروني" بصيغة الأمر يفيد طلبا للتواصل الروحي بين العبد وربه ودوام الصلة بالله في السراء والضراء وليس الذكر مجرد ترديد اللسان .

---

[1]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، ج2، ص126

[2]- البقرة، الآية152.

[3]-الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص50.

5- ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[1].

"**انظروا**" فعل أمر، لكنه ليس أمرا للمعاينة البصرية فحسب، بل هو دعوة لإبصار القلب والوعي وأمر بالتفكر والاعتبار فهو هنا ليس مجرد طلب للاستعراض، بل هي دعوة للتأمل في النتائج التي أصابت الأمم السابقة التي كذبت برسالات الله، لكي يتخذ المسلمون عبرة ويدركون عاقبة الكفر والعصيان، فالدلالة السياقية لفعل الأمر انظروا هي "تَأَمَّلُوا"، وفي هذا يقول **ابن عثيمين(ت1421)** رحمه الله:" **إن وصل إلى مكان هؤلاء الأمم فالنظر يكون بعين البصر وبعين البصيرة، وإن لم يصل، ولكنه فكر في قلبه فالنظر يكون بعين البصيرة، لأن البصر لا يمكن أن يصل إليه وهو ينظر في قلبه**"[2].

فالدلالة السياقية للفعل" انظروا" لا تقتضي الدعوة للفرجة على الأطلال، بل دعوة للتأمل في مصير من كذبوا الرسل فالمراد هنا التدبر العقلي لأن المطلوب هو فهم العاقبة، وهي أمر لا يدرك بالبصر المجرد فقط، بل بالتأمل في النتائج والسنن.

6-قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...**﴾ [3].

"**تعَالَوا**" فعل أمر يدل في أصله على الطلب المستقبلي أي أن يتم الفعل بعد لحظة الطلب، حيث يستخدم الفعل "**تعالوا**" في المعنى المعجمي العام كدعوة للمجيء، الاقتراب أو الانضمام إلى شخص أو مجموعة، بينما معناها السياقي: **ليس طلبًا للحضور الجسدي ولا يُراد به القدوم المكاني، بل هو دعوة إلى الاتفاق والالتقاء الفكري والديني، كما فسر الرازي في كتابه مفاتيح الغيب بقوله: "المراد بالفعل تعالوا في هذا السياق تعيين ما دعوا إليه والتوجه إلى النظر فيه و لم يكن انتقالا من مكان إلى مكان**"[4]؛ فهو أمر بمعنى الدعوة إلى الحوار والتوحيد، فالنبي ﷺ مأمور بأن يدعو أهل الكتاب إلى نقطة مشتركة (كلمة سواء)، وهي: ﴿أَلَّا

---

[1]- سورة آل عمران، الآية 137.

[2]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ج2، ص200.

[3]- آل عمران، الآية74.

[4]- ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص252.

نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا...﴾و المقصود بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، فالفعل تَعَالَوا خرج من دلالته الزمنية الأصلية إلى دلالة مقصدية وحوارية.

7-قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ المُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهم عَذابًا أَلِيمًا﴾[1].

" **بشر**" السياق يظهر أنّ هذه البشارة ليست حقيقية المعنى و إنما جاءت بصيغة التهكم والازدراء من حال المنافقين، الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فالفعل " بشر" في سياق الآية ليس إعلاما بخير، بل تهديد بأسلوب ساخر، فيه تبكيت للمنافقين، لأنهم تعودوا على الكذب والخداع، فجاءت هذه الصيغة لتفضحهم بأسلوب غير مباشر وهذا ما قاله الألوسي في تفسيره:"

ووضع" بشر" موضع " أنذر" تهكما بهم، ففي الكلام استعارة تهكمية، وقيل موضع" أخبر" فهناك مجاز مرسل تهكمي"[2].

ومنه يظهر تناقض ا مقصودا وهو من أساليب التنفير من النفاق، بإبراز قبح مآله وليبين حقارة حالهم ويصور فظاعة مصيرهم بأسلوب شديد التأثير، ف" بشر" ليس لنقل خبر سار بل دلالته السياقية تمثلت في أنذر وأخبر.

8- قال تعالى: ﴿**وإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ...** ﴾[3].

في معاجم اللغة الفعل "اجعل" من مادة (ج ع ل)، وله معانٍ متعددة، منها: صيّر، أو غيّر شيئًا من حال إلى حال" أوجد"، أو "أنشأ" خصّص أو عيّن شيئًا لمهمة أو حالة . فالدلالة المعجمية لـ "اجعل" هي: أَوجد أو صَيِّرْ بينما الدلالة السياقية للفعل "اجعل" في الآية "اجعل هذا بلداً آمناً" هو دعاء من إبراهيم عليه السلام يطلب فيه من الله أن يرزق هذا الموضع (مكة) صفة الأمن، وأن تكون مدينة آمنة مستقرة، أي أن"اجعل" هنا لا تُفهم

---

[1]- النساء، الآية 138.

[2]- الآلوسي، روح المعاني، ج3، ص165.

[3] - البقرة، الآية 126.

على أنها مجرد صياغة أمر، بل هي دعاء وتوسل، والسياق يدل على طلب تخصيص هذا المكان بالأمن والطمأنينة، يقول ابن عطية في هذا الشأن:" دعا إبراهيم عليه السلام لذريته وغيرهم بمكة بالأمن ورغد العيش، و"اجعل" لفظه الأمر وهو في حق الله تعالى رغبة ودعاء"[1] أي: اجعل حاله حال بلدٍ آمن، إذن الدلالة السياقية تعني :يا رب، وهبْ لهذا المكان أن يكون بلدًا ينعم بالأمن والاستقرار.

9- قال تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [2].

يرد الفعل **اتخذوني** على صيغة الأمر، لكنه لا يفهم هنا بمعناه الحقيقي (أنّ عيسى عليه السلام أمر الناس فعلا بعبادته وأمه) بل هو منقول إلى معنى السؤال التقريري الإنكاري، فالله عز وجل يسأل عيسى عليه السلام يوم القيامة توبيخا لمن اتخذوه هو وأمه إلهين، وليس توبيخا لعيسى نفسه والدلالة السياقية هنا تشير إلى التهويل والتشنيع على من وقع في هذا الفعل وقد أشار البقاعي في معنى "اتخذوني" في تفسيره بقوله:" اتخذوني أيْ: كَلِّفُوا أنْفُسَكم خِلافَ ما تَعْتَقِدُونَهُ بِالفِطْرَةِ الأُولى في اللَّهِ؛ بِأنْ تَأْخُذُونِي؛ ﴿وأُمِّيَ إلَهَيْنِ﴾ ولَمّا كانَتْ عِبادَةُ غَيْرِ اللَّهِ – ولَوْ كانَتْ عَلى سَبِيلِ الشِّرْكِ – مُبْطِلَةً لِعِبادَةِ اللَّهِ؛ لِأنَّهُ – سُبْحانَهُ – أغْنى الأغْنِياءِ؛ ولا يَرْضى الشِّرْكَ إلّا فَقِيرٌ "[3]، إذن يفهم من سياق الآية أن " اتخذوني" له دلالة سياقية مفادها إبراز حجم الزيغ العقدي الذي حدث وتأكيد براءة النبي عيسى عليه السلام وفضح زيف الشرك الذي نُسب إليه.

---

[1]– عبدالله خضر حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، ج3، ص220

[2] – المائدة، الآية 116.

[3]– البقاعي، نظم الدرر، ج6، ص363.

10-قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾[1].

أخرجنا فعل أمر بصيغة الدعاء والتضرع، وليس أمرا تكليفيا، يحمل دلالة سياقية مفادها طلب الخلاص والنجاة من الظلم، فالفعل " أخرجنا" نزح عن دلالته المركزية فلا يفهم أنهم يأمرون الله، فهذا ليس أمرا بالمعنى الإلزامي إنما توسل وطلب عاجز من ضعفاء مضلومين، يرجون من الله أن ينجيهم من الظلم وهذا المعنى يفهم من السياق الذي ورد فيه الفعل و هذا ما قاله أبو حيان:" لَيْسَ لَهم مِنَ القُوَّةِ والمَنَعَةِ مِنَ الظُّلْمِ إلّا بِالدُّعاءِ والِاسْتِنْصارِ بِاللَّهِ تَعالى والقَرْيَةُ هُنا مَكَّةُ بِإجْماعٍ"[2]، فخلاصة القول أنّ فعل الأمر في الغالب يخرج عن دلالته الأصلية إلى دلالة فرعية مؤقتة يفرضها السياق فـ" أخرجنا" له دلالة سياقية مفادها التعبير عن صرخة مستضعفا لا يستطيع الخروج بنفسه، بل يرجو ربه أن يخرجه.

11-قوله تعالى:﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [3].

لفعل الأمر" **ذوقوا**" دلالتان: دلالة مركزية (معجمية) وهي التعرف على طعم الشيء باللسان كأن نقول تذوّق الطعام أي اختبره ودلالة فرعية تفهم من خلال السياق الذي وردت فيه وهي كالآتي: عايشوا شدّة العذاب، لا باللسان بل بالحواس والمعاناة و اختبروا العذاب حسًّا ومعنًى. **ذكر الطاهر بن عاشور(ت1389هـ)** في شأن ﴿ ذوقوا ﴾ "**هو أمر الله بأن يدخلوا النارالذوق حقيقته إدراك الطعوم، واستعمل هنا مجازا مرسلا في الإحساس بالعذاب فعلاقته الإطلاق،**

---

[1] – النساء، الآية 75.

[2] – أبو حيان، البحر المحيط، ج1، ص573.

[3]– آل عمران، الآية181.

ونكتته أن الذوق في العرف يستتبع تكرر ذلك الإحساس لأن الذوق يتبعه الأكل، وبهذا الاعتبار يصح أن يكون "ذوقوا" استعارة"[1]

واستخدم صيغة الأمر بذوق العذاب على طريق الإهانة للدلالة على أنه مترتب على كفرهم المذكور، كما أن قوله تعالى: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ صريح في أن نفس الذوق معلل بذلك، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم أو على مضيه في الدنيا.

12- **قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[2].**

ورد فعل الأمر "اتَّقُوا" من الفعل "اتَّقَى" في اللغة مأخوذ من الجذر (وَ قَ يَ)، و يدور حول معنى الحفظ والوقاية من الشر أو الضرر، يقال: وَقَى الشيءَ: حماه وصانه .واتقى الشيءَ: جعل بينه وبين الشيء وقاية، إذن المعنى المعجمي لـ" اتقوا": اجعلوا بينكم وبين شيءٍ تخافون ضرره وقايةً، أما الدلالة السياقية للفعل " اتَّقُوا" في هذه الآية، موجها للمؤمنين بالاستزادة في التقوى والعبادات والسلوك والمعاملات ف"اتقوا الله حق تقاته" أي: التزموا أوامره، وراقبوه في السر والعلَن واجتنبوا نواهيه، وابتعدوا عن معصيته بحق ما يستحقه من العبادة . وبأكمل وأتم صورة من التقوى التي تليق بجلاله سبحانه .وقد فسرها بعض المفسرين مثل ابن مسعود بقوله:" **أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر**".[3]

13- قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[4].

ورد الفعل "**هَبْ**" بصيغة الأمر وهو من الفعل " وَهَبَ" معناه المعجمي: أعطِ أو امنَح شيئًا من غير مقابل، ففي اللغة تُستخدم لطلب العطاء، وغالبًا من القوي للضعيف أو من المالك

---

[1]-الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص184.

[2]- آل عمران، الآية 102.

[3]- أحمد فريد، تزكية النفوس، ج1، ص75.

[4]- آل عمران، الآية 38.

لغير المالك، فالدلالة الأصلية لفعل الأمر: يدل على الطلب الجازم من الأعلى إلى الأدنى (مثل: المعلم يقول للطالب "ا كتب" أي تنفيذ الفعل بعد وقت التكلم)

أما دلالته السياقية في هذه الآية، أن زكريا عليه السلام يقول: "رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً "هنا: المتكلم: بشر وهو زكريا والمخاطَب: الله عز وجل .

إذن ليس أمرًا حقيقيًّا بل هو دعاء وتوسّل ورجاء من العبد إلى ربّه؛ أي أن دلالة "هَبْ" في السياق خرجت عن معناها المعجمي (أمر بالعطاء) إلى طلب وترجي ودعاء متواضع من الأدنى للأعلى، فمشاهدة خوارق العادات خولت لزكرياء الدعاء بما هو من الخوارق، أو من المستبعدات، لأنه رأى نفسه غير بعيد عن عناية الله تعالى، قال **الطاهر بن عاشور(ت1389هـ)** في كتابه التحرير والتنوير:" **فلا يعد دعاؤه بذلك تجاوزا لحدود الأدب مع الله**"[1]

أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية:

صيغة الأمر تخرج في بعض الأحيان لتعبر عن دلالات زمنية متعددة يعزي السبب في ذلك إلى دور السياق التي تحدده مجموعة من القرائن اللفظية أو المعنوية في قلب أزمنة هذه الصيغة، وهو ما سنحاول توضيحه من خلال بعض النصوص القرآنية، وذلك على النحو الآتي:

كما أنّ **سيبويه** يحدد دلالة صيغة فعل **الأمر** " **افعل**" **على زمن الاستقبال، فقال**" **وأما بناء مالم يقع فإنه قولك أمرا**"، ويمكن القول إنّ صيغة الأمر هي صيغة فعلية لا يختلف الزمن النحوي فيها عن غيرها من الصيغ، مادام الزمن النحوي وظيفته السياق.

[1]– الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص238 .

1-قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [1].

فالفعل اسْكن: فعل أمر دلالته حاضر مستمر، يدل على الزمن الحاضر يعني لحظة التوجيه بالكلام(وقت مخاطبة آدم) ويفهم منه أيضا الاستمرار في الإقامة أي أنّ الأمر لا يقتصر على لحظة واحدة بل فيه معنى الاستقرار مع زوجته حواء وليس مجرد دخول عابر، بل إقامة حقيقية متواصلة إلى أن يحصل تغير في الحال (كالعصيان مثلا) وهذا أفضى على الفعل بعدا زمنيا ممتدا وقد قال الواحدي في معنى اسكن:" أي اتخذها مأوى ومنزلا"[2]، فالدلالة السياقية في " اسكن" توحي باستقرار غير محدد المدة لكنه مشروط، مما يعكس طبيعة المرحلة(اختبار في ظل نعيم).

14-قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [3].

اضرب: فعل أمر في سياق الماضي، لأنه تحقق وانتهى أمره، فسياق القصة يبين أنّ الضرب قد حدث و بدليل حكاية ما نتج عن الضرب بعد ذلك في قوله:" **فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ** "، فقد تحددت الدلالة الزمنية للفعل وهي المضي بناء على الدلالة السياقية، حيث لا يراد بالفعل زمنه الذي وضع له فقد صرفته قرينة سياقية عن المعنى الزمني الموضوع له إلى زمن سياقي حدده التركيب، وقال القرطبي(**ت671هـ**):" **في قوله تعالى: ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ فِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تقْدِيرُهُ فَضَرَبَ فَانْفَجَرَتْ. وَقَدْ كَانَ تعَالَى قَادِرًا عَلَى تفْجِيرِ الْمَاءِ وَفَلْقِ الْحَجَرِ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ لَكِنْ أَرَادَ أَنْ يرْبِطَ الْمُسَبِّبَاتِ بِالْأَسْبَابِ حِكْمَةً مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِي وُصُولِهِمْ إِلَى الْمُرَادِ**"[4].

---

[1]- البقرة، الآية35.

[2]- الواحدي، الوسيط، ج1، ص121.

[3]- سورة البقرة، الآية60.

[4]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص419.

نستنتج أنّ دلالة الفعل" اضرب" الزمنية في السياق القرآني: الماضي لأنه جاء ضمن سرد حدث ماض بصيغة الأمر لتصوير الفعل الذي وقع آنذاك لجعل القارئ يعيش الحدث وكانه يقع الآن.

15- **قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾**[1].

للفعل **أخرجوهم** دلالة سياقية مفادها أنها دلت على المضي والفعل في صيغة أمر، نزحت عن دلالة الاستقبال وذلك يفهم من خلال سياق القصة أن الإخراج حدث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أشار إليه الطبري في قوله:"وأخرجوهم من حيث أخرجوكم" فإنه يُعنى بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ومنازلهم بمكة، فقال لهم تعالى ذكره: أخرجوا هؤلاء الذين يقاتلونكم – وقد أخرجوكم من دياركم – من مساكنهم وديارهم كما أخرجوكم منها"[2].

وعليه فالله يأمر المسلمين أن يخرجوا المشركين من المكان نفسه الذي طردوهم منه في توازن زمني وعدلي يفهم من سياق الآية.

16- **قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾** [3].

"**أوفوا**" فعل أمر دلالته الحاضر والاستقبال، يعني الوفاء بالعهد في كل زمن ماضي، حاضر أو مستقبل، فقد خرج الفعل عن دلالة زمنه الأصلية إلى دلالة فرعية مفادها الاستمرارية، فالله طلب من بني إسرائيل الوفاء بالعهد وقد قال **الألوسي** في ذلك:" **أَوْفُوا بِعَهْدِي بِالإيمانِ والطّاعَةِ أُوفِ بِعَهْدِكم بِحُسْنِ الإثابَةِ**"[4]، فالفعل " أوفوا" في هذا السياق هو أمر يوجه ويؤكد

---

[1]– البقرة، الآية 191.

[2]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج2، ص350.

[3]– البقرة، الآية 40.

[4]– الآلوسي، روح المعاني، ج1، ص244.

ويشير إلى عواقب، ويهدف إلى تذكير بني إسرائيل بضرورة الوفاء بالتزاماتهم الدينية والعملية في كل زمان.

فهم الدلالة السياقية لفعل الأمر هو أمر ضروري لتفسير المعنى المقصود وتحديد دلالاته الإضافية في سياق معين، مما يساعد في فهم النصوص بشكل صحيح.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي خاتمة هذا البحث توصلنا إلى النتائج الآتية:

❖ يعد السياق من ركائز التفسير لذا لقي عناية خاصة من قبل المفسرين، وينقسم عموما إلى مقالي لغوي ومقامي حالي.

❖ يؤدي السياق دورا مفصليا في توجيه معاني القرآن والغوص في لجة هذا البيان سحرا ونظما؛ فيعطي المعاني الخفية استجلاء بعد فعل القراءة والاستقراء عبر مساقات آي هذا القرآن، ليعلل الخارج عن الأصل بردِّه إلى الجمالية أو في أحيان أخرى لاعتباره هو عين الأصل بعد الفرع وكل هذا بحسب المناسبة والمراد.

❖ أثر السياق في تحديد الدلالة وبيان أنّ السياق النصي والسباق واللحاق له دورا كبيرا في توجيه معنى الفعل الماضي، ويسهم في فهم المقصود منه، سواء كان الفعل دالا على ماض حقيقي أو مجازي.

❖ الاختلاف بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية حيث ظهر أنّ المعنى المعجمي للفعل الماضي يتغير أو يتوسع بفعل السياق، مما يؤكد أهمية عدم الاكتفاء بالمعنى القاموسي عند تفسير الأفعال القرآنية.

❖ تعدد دلالات الفعل الماضي في السياق القرآني حيث أظهر التحليل أن الفعل الماضي في القرآن لا يقتصر على الدلالة الزمنية(الماضي) بل يمتد إلى دلالات أخرى كالاستمرار والتجدد، الاستقبال...

❖ يظهر الفعل المضارع في السياق قدرة كبيرة على التلون الدلالي، إذ لا يقتصر معناه على ما ورد في المعجم بل يتشكل تبعا للسياق الذي يرد في كثير من المواضع، يتجاوز الفعل المضارع دلالته الأصلية– المعنى المعجمي– إلى دلالة فرعية تعرف من السياق.

❖ تأثير السياق على الدلالة الزمنية للفعل المضارع فالأصل في الفعل المضارع أن يدل على الزمن الحاضر أو المستقبل، لكن السياق قد يحول هذه الدلالة إلى الماضي أو يلغي عنصر الزمن تماما إذا كان السياق يقتضي ذلك.

❖ من أبرز العوامل السياقية المؤثرة: أدوات الشرط، السياق القرآني، القرائن اللفظية، والمقام العام للنص...

❖ يعد السياق أداة حاسمة في تحديد المقصود بالفعل المضارع، فلا يمكن الاعتماد على المعجم فقط في تأويل المعنى في كثير من الحالات لا يمكن فهم دلالة الفعل المضارع على وجه الدقة إلا من خلال تحليل السياق الذي ورد فيه.

❖ تعدد دلالات فعل الأمر في السياق القرآني، من خلال تحليل آيات الربع الأول تبين أن فعل الأمر لا يستخدم للدلالة على الطلب والإلزام بل تتنوع دلالاته السياقية لتشمل الدعاء، التهديد...

❖ الفرق بين دلالة الأمر الظاهرة والحقيقية، في كثير من المواضع لا تحمل دلالة الأمر على ظاهرها، بل يفهم من خلال القرائن السياقية التي تصرفه لغير الوجوب، مما يدل على مرونة البنية اللغوية للخطاب القرآني.

وفي آخر هذا البحث، يجب أن نشير إلى أن عملنا هذا إلّا غرفة من مناهل القدماء غير أننا حاولنا أن نبين ميزة اللغة العربية وعلاقتها بالمعنى في القرآن الكريم، فإن الإنسان لا يخلو من الزلل وحسبنا أننا حاولنا أن نجتهد فإن أجدنا فبفضل الله وإن أخطأنا فنستغفره ونتوب إليه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانيا: المصادر

1- الألوسي، روح المعاني، تص: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.

2- البغوي، تفسير البغوي، تخ: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1320هـ.

3- البقاعي، نظم الدرر، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1984م.

4- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

5- الثعالبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

6- أبو حيان، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج1.

7- الرازي، مفاتيح الغيب، دار إ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

8- السعدي، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق، دار مؤسسة النشر.

9- الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.

10- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح محمود شاكر، دار المكتبة ابن تيمية للنشر، ط2، 2008م.

11- ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت.

12- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.

13- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2000 م.

14- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرن الكريم، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط3، 1435هـ.

15- الواحدي، التفسير البسيط، دار عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ.

16- البيهقي، مناقب الشافعي للبيهقي، تح: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، 1390هـ، 1970م.

17- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمان بن محمد بن القاسم، مجمع الملك فهد لطباعة.

18- المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، 2004م.

19- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تح: عدنان زوزور، ط2، 1972م.

20- الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ، ج1.

21- الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، الكويت، ط2، 1992.

22- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.

23- السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، تح: د محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط1، 1989م.

24- أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، معنى لا إله إلا الله، تح: علي محيي الدين علي الغرة راغي، دار الاعتصام القاهرة ط3.

25- العبكري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995م.

26- فخر الدين الرازي، المعالم في أصول الفقه، مؤسسة مختار، دار عالم المعرفة، القاهرة، مصر، 1994 م.

27- ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج4.

28- الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

29- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ، 1979م.

30- ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوق)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ
31- محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني، تح: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
32- ابن نجار، شرح الكوكب المنير مختصر التحرير، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، الرياض، 1993م.

ثالثا: المراجع

1- إبراهيم بن سعد أبا حسين، معجم التوحيد،ج1.
2- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية، تونس، سفاقص، 1989م.
3- أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم، دط.
4- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر مكتبة العلوم الحكم, المدينة المنورة، السعودية، ط3، 1997م.
5- أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الفكر، بيروت.
6- أحمد فريد، تزكية النفوس، دط.
7- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م.
8- تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006م.
9- صلاح الدين الزعبلاوي، دراسات في النحو، دط.
10- عبد الرحمان بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، تح سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1422هـ
11- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2، 1983م.
12- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
13- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3.

14- فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2000/
15- عبدالله خضر حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، ج3، ص220
16- هادي نهر، تقديم علي الحمد علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل، الأردن، 2008 م.

رابعاً: الرسائل والمذكرات

17- دايد عبد القادر، أثر السياق في ترجيح دلالة النص لدى الزمخشري الكشاف أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، في اللغة والأدب العربي، إشراف محمد ملياني، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران أحمد بن بلة، الجزائر، 2017/ 2018م.
18- ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة دكتوراه موصى بطبعها، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1424هـ.
19- عبد الرحمان عبد الله سرور جرمان المطيري، السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2008م.
20- علي حميد خضير، دلالة السياق في النص القرآني، مذكرة ماجستير، إشراف عبد الإله الصائغ، قسم اللغة العربية، في كلية الآداب والتربية، الأكاديمية العربية في الدانيمارك، 2014 م.
21- مهديد خليف، القرائن اللفظية وأثرها في التراكيب اللغوية ديوان موسى الأحمدي نويوات أنموذجا، رسالة ماجستير، إشراف صفية مطهري، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، 2015 م.
22-نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب دراسة من منظور لساني، إشراف عمار شلواي، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2010/2009 م.

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
مقدمة	أ-هـ
مدخل: السياق والدلالة	07
1-مفهوم السياق:	07
2-تعريف الدلالة:	09
3-السياق عند العرب:	09
أ-السياق عند البلاغيين	09
ب-السياق عند الأصوليين	11
ت-السياق عند المفسرين	12
4-أنواع السياق:	13
أ- السياق المقامي	13
ب- السياق المقالي	14
5-السياق القرآني	15
أ- سياق المقال	16
ب- سياق المقام	18
6- فاعلية السياق في تحديد الدلالة	20
الفصل الأول: الدلالة السياقية للفعل الماضي	
1- الفعل الماضي	23
2- الدلالة السياقية للفعل الماضي	23
أ- أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية	24

ب- أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية	31
الفصل الثاني: الدلالة السياقية للفعل المضارع	
1-الفعل المضارع	42
2- الدلالة السياقية للفعل المضارع	42
أ- أثر الدلالة السياقية عبى الدلالة المعجمية	43
ب- أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية	48
الفصل الثالث: الدلالة السياقية لفعل الأمر	
1- فعل الأمر	57
2-الدلالة السياقية لفعل الأمر	58
أ- أثر الدلالة السياقية على الدلالة المعجمية	58
ب- أثر الدلالة السياقية على الدلالة الزمنية	64
الخاتمة	71
قائمة المصادر والمراجع	74
فهرس المحتويات	79

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز أثر السياق في تحديد دلالات الأفعال وأزمنتها، وقد قُسّم إلى مدخل وثلاثة فصول. تناولنا في المدخل مفهوم السياق والدلالة، والسياق عند العرب، وأنواعه، ثم السياق القرآني وفاعليته في توجيه المعنى. وفي الفصل الأول، تتبعنا تأثير السياق في توجيه دلالة الفعل الماضي، من حيث المعنى المعجمي والزمني، ثم انتقلنا في الفصل الثاني إلى دراسة دلالة الفعل المضارع و يليه في الفصل الثالث الفعل الأمر في السياق القرآني، باتباع النهج نفسه، مستعينين بأقوال العلماء، ولا سيما المفسرين. وقد خلصنا إلى أن دلالات الأفعال من حيث المعنى والزمن تتسم بالتنوع والتشعب داخل النص القرآني، تبعًا للسياق الذي ترد فيه.

الكلمات المفتاحية: السياق القرآني، الدلالة، الزمن، الأفعال، المعنى المعجمي. الدلالة السياقية

Abstract:

This study aims to highlight the impact of context in determining the meanings and tenses of verbs. It is divided into an introduction and three chapters. In the introduction, we explored the concept of context and meaning, the notion of context in the Arab tradition, its types, and the Qur'anic context and its effectiveness in guiding meaning. In the first chapter, we traced the influence of context on the meaning of the past tense verb in terms of both lexical meaning and tense. In the second chapter, we examined the present tense verb, followed by the imperative verb in the third chapter within the Qur'anic context, following the same approach and drawing on the views of scholars, especially exegetes. The study concludes that the meanings and tenses of verbs in the Qur'anic text are diverse and complex, depending on the context in which they appear.

Keywords: Qur'anic context, meaning, tense, verbs, lexical meaning, contextual meaning.